فصل

وفي الذكر نحوٌ من مائة فائدة:

إحداها: أنه يطرد الشيطان ويَقْمَعُه ويَكْسِرُه.

الثانية: أنه يُرضِي الرحمن عز وجل.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبَسْط.

الخامسة: أنه يُقَوِّي القلب والبدن.

السادسة: أنه يُنَوِّر الوجه والقلب.

السابعة: أنه يَجْلِب الرزق.

الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنَّضْرة.

التاسعة: أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام، وقطبُ رَحى الدين، ومدار السعادة والنجاة، وقد[1] جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام الذكر؛ فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فَلْيَلْهَجْ بذكره،

= رضي الله عنه.

وقد اختلف الأئمة في أحاديث هذه الترجمة، وصحّح هذا الحديث ـ منها ـ ابنُ حبان (٨١٧)، والحاكم (١/ ٤٩٩)، ولم ير ابنُ معينٍ به بأساً ـ كما في «تاريخه» (٢/ ١٥٥ ـ رواية الدوري) ـ.

وعدّه ابنُ عديّ في «الكامل» (٣/ ١٥) ممّا يُنكر من حديث درّاج.

(١) (ت) و(ق): «فقد».

فإنّ[1] الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها الأقوم[2].

العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتى يُدْخِلَه في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذِّكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه[3] في كل أحواله، فيبقى الله عز وجل مَفْزَعه وملجاه، ومَلاذه ومَعاذه، وقِبْلة قلبه، وَمَهْرَبَه عند النوازل والبلايا[4].

الثانية عشرة: أنه يُورِثه القُرْبَ منه؛ فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قُرْبُه منه، وعلى قدر غفلته يكون بُعْده منه.

الثالثة عشرة: أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلّما أكْثَرَ من الذكر ازداد من المعرفة[5].

الرابعة عشرة: أنه يُورِثه الهيبة لربه عز وجل وإجلالِه؛ لشدة استيلائه على قلبه، وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل؛ فإن حجاب الهيبة رقيقٌ

---

(١) (ت): «فإنّه».

(٢) انظر: «جلاء الأفهام» (٦١٦ ـ ٦٢٠) للمصنِّف.

(٣) «إليه» من (ح) و(ق).

(٤) (ت): «والبلاء».

(٥) الفائدة الثالثة عشرة ساقطة من (ت).

في قلبه.

الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ولو لم يكن في الذكر إلا[١] هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً.

وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: «**مَنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم**»[٢].

السادسة عشرة: أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الذكرُ للقلب مثلُ الماء للسمك[٣]، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!

السابعة عشرة: أنه قُوتُ القلب والروح؛ فإذا فَقَده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قُوتِه.

وحضرتُ شيخ الإسلام ابن تيمية مرةً صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتَغَدَّ هذا الغداء لسقطت قوَّتي، أو كلاماً قريباً من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعِدَّ بتلك الراحة لذكرٍ آخر، أو كلاماً هذا معناه.

---

(١) «الذكر إلاّ» ساقط من (ت).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٨٧).

(٣) انظر: «التحفة العراقية» (١٠/ ٨٥ ـ مجموع الفتاوى).

الثامنة عشرة: أنه يورث جَلاء القلب من صَداه[1]، كما تقدم في الحديث.

وكلُّ شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجِلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار، وقد تقدم هذا المعنى[2].

التاسعة عشرة: أنه يَحُطُّ الخطايا ويُذْهِبها؛ فإنه من أعظم الحسنات، والحسناتُ يُذْهِبْن السيئاتِ.

العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى؛ فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وَحْشَةٌ لا تزول إلا بالذكر.

الحادية والعشرون: أن ما يَذْكُر به العبدُ ربَّه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده، يُذَكِّرُ بصاحبه عند الشدة؛ فقد روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى في «المسند» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ مِمّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ الله عز وجل، مِنَ التَّهْليلِ والتكبير والتحميد، يتَعَاطَفْنَ حول العَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بصاحبهنّ، أفلا يحبُّ أحدكم أن يكون له ما يُذَكِّرُ به؟!**»[3]. هذا الحديث أو معناه.

---

(١) كذا في الأصول، بالألف الممدودة.

(٢) انظر: (ص: ٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٣)، وابنُ ماجه (٣٨٠٩)، والبزّار (٨/ ١٩٩) وغيرهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
وصححه الحاكم (١/ ٥٠٣) على شرط مسلم، ولم يتعقبه الذهبي.
وصحّحه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٩٣).

الثانية والعشرون: أن العبد إذا تعرَّف إلى الله تعالى، بذكره في الرخاء = عَرَفه في الشدّة، وقد جاء أثرٌ معناه: أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدّة، أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة: يا ربّ! صوتٌ معروفٌ من عبدٍ معروفٍ.

والغافل المعرض عن ذكر الله عز وجل إذا دعاه أو سأله قالت الملائكة: يارب! صوتٌ منكرٌ من عبدٍ منكر[1].

الثالثة والعشرون: أنه منجاةٌ مِنْ عذاب الله تعالى، كما قال معاذٌ رضي الله عنه، ـ ويُرْوَى مرفوعاً ـ: «**ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى**»[2].

الرابعة والعشرون: أنه سبب نُزول[3] السكينة، وغِشْيان الرحمة، وحُفُوفِ الملائكة بالذاكر، كما أخبر به النبي ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل؛ فإن العبد لابُدَّ له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى، وذِكْرِ أوامره تكلم بهذه المحرمات أو

---

(١) أخرجه محمد بن فضيل الضّبي في «الدعاء» (٨٥)، ومِنْ طريقه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٣٠٩ ـ ٣١٠)، و(١٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، وعبدالله بن أحمد في «زوائده على الزهد» (٣١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٤٣) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه موقوفاً.
وإسنادُ الضبيّ صحيحٌ عالٍ.

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٨٤).

(٣) (ح) و(ق): «تَنَزُّل».

ببعضها[1]؛ فلا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى.

والمشاهدة والتجربةُ شاهدان بذلك؛ فمن عوَّد لسانه ذِكْرَ اللهِ صانَ اللهُ لسانَه عن الباطل واللغو[2]، ومن يَبِسَ لسانُه عن ذكر الله تعالى تَرَطَّبَ بكل باطلٍ ولَغْوٍ وفُحْشٍ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السادسة والعشرون: أنّ مجالسَ الذكر مجالسُ الملائكة، ومجالسَ اللغو والغفلة مجالسُ الشياطين، فَلْيَتَخَيَّرِ العبدُ أعجبهما إليه، وأولاهما به؛ فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

السابعة والعشرون: أنه يَسْعَدُ الذاكرُ بذكره، ويَسْعَدُ به جليسُه، وهذا هو المبارك أينما كان، والغافلُ واللاغي يشقى بلغوه وغفلته، ويشقى به مُجالِسُه.

الثامنة والعشرون: أنه يؤمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة؛ فإنّ كل مجلس لا يَذْكُرُ العبدُ فيه ربَّه تعالى كان عليه حسرةً وترَةً يوم القيامة[3].

التاسعة والعشرون: أنه مع البكاء في الخلوة سببٌ لإظلال الله تعالى العبدَ يوم الحَرِّ الأكبر في ظِلِّ عرشه، والناسُ في حَرِّ الشمس قد صَهَرَتْهُم في الموقف، وهذا الذاكرُ مُسْتَظِلٌّ بظل عرش الرحمن عز

---

(١) (م) و(ق): «بعضها».

(٢) «واللغو» من (ح) و(م) و(ق).

(٣) كذا في (ح) و(ق)، ولم ترد هذه الفائدة في (ت) وجُعِل بدلها الفائدةُ التاسعة والعشرون، وفي (م) جُعِلت الفائدة الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون كلٌّ منهما موضع الأخرى.

وجل[1].

الثلاثون: أن الاشتغال به سببٌ لعطاء الله الذاكرَ أفضلَ ما يُعْطِي السائلين؛ ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعْطِي السائلين**[2]»[3].

الحادية والثلاثون: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلِّها وأفضلها؛ فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من أعضاء الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة، بل لا يمكنه ذلك.

---

(١) الفائدة من (ح) و(ق)، ووقع في (ت) بدلاً منها: «أنه يشتهر بين الخلق بمحبته»!، ونُقِلت هذه الفائدة في (ت) و(م) إلى الفائدة الثامنة والعشرون، كما تقدم بيانه.

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١١٥)، و«خلق أفعال العباد» (٥٤٤)، والبزار (١/ ٢٤٧) وغيرهما.

وأورده ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٧٦) في ترجمة راويه «صفوان بن أبي الصهباء»، وقال: «هذا موضوع، مارواه إلاّ هذا الشيخ».

وتبعه ابن الجوزيُّ فأورده في «الموضوعات» (٣/ ٤٢١).

ونُوزِعا في ذلك، فحسّنه ابن حجر في «أماليه» ـ كما في «اللآلىء المصنوعة» (٢/ ٣٤٢) ـ، وذكر هو والسيوطي له شواهد قد تنفعه.

وقال ابن عبدالبر في «التمهيد» (٦/ ٤٦) ـ بعد أن أورد الحديث ـ: «ليس يجيء هذا الحديث ـ فيما علمتُ ـ إلاّ بهذا الإسناد، وصفوانُ بن أبي الصهباء وبكير بن عتيق رجلان صالحان». وانظر: «ثقات ابن حبان» (٨/ ٣٢١)!.

(٣) الحديث من (ح) و(م) و(ق).

الثانية والثلاثون: أنه غِراسُ الجنة، فقد روى الترمذي في «جامعه» من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقْرِئْ أمَّتك مِنِّي السَّلام، وأخبرهم أن الجنة طيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الماء، وأنَّها قِيعانٌ، وَأنَّ غِراسَها سُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**». قال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود[1].

وفي «الترمذي» من حديث أبي الزبير، عن جابر عن النبي ﷺ قال: «من قال: **سبحان الله وبحَمْده، غُرِسَتْ له نخلةٌ في الجنَّة**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح[2].

الثالثة والثلاثون: أن العطاء والفضل الذي رُتِّب عليه لم يُرَتَّبْ على غيره

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٧٣)، و«الأوسط» (٤/ ٢٧١)، و«الصغير» (١/ ٣٢٦).
قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٠٨): «عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود لم يسمع من أبيه، وعبدالرحمن بن إسحاق هو أبو شيبة الكوفيّ، واهٍ».
قال ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ١٠٢) ـ معلّقاً على تحسين الترمذيّ للحديث ـ: «وحسّنه لشواهده».
وانظر: «المداوي» (٤/ ١٠٠)، و«السلسلة الصحيحة» (١٠٥).
وأعلّه أبو حاتم وأبو زرعة في «العلل» (٢/ ١٧١) بالإرسال.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٢٧). وصحّحه ابن حبان (٨٢٦)، والحاكم (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) على شرط مسلم ولم يتعقبه الذهبي.

من الأعمال.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شيءٍ قدير في يوم مائة مرةٍ كانت له عَدْل عَشْرِ رقابٍ، وَكُتِبَتْ له مائةُ حسَنةٍ، ومُحِيَتْ عنهُ مائةُ سيئةٍ، وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحَدٌ بأفضل مما جاء به إلاَّ رجلٌ عمل أكثر منه.**

ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرَّة حُطَّتْ خَطاياهُ وإن كانت مِثْلَ زَبَدِ البحر»[1].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقولَ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أَحَبُّ إليَّ مما طَلَعتْ عليه الشَّمْس**»[2].

وفي «الترمذي» من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يُصْبِح أو يُمْسِي: اللهم إنّي أصبحتُ أُشهِدُكَ، وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرشِكَ، وملائِكَتَك، وجميع خلقك، أنَّك أنت الله لا إله إلاَّ أنت، وأن محمداً عبدك ورسولُك = أعْتَقَ اللهُ رُبعه من النَّار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعاً أعتقهُ الله تعالى من النار**»[3].

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٢٩٣، ٦٤٠٣)، و«مسلم»(٢٦٩١).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٩٥).

(٣) أخرجه أبوداود (٥/ ٣٨٦ـ ٣٨٧)، والبخاريُّ في «الأدب المفرد» (١٢٠١)، =

وفيه عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يُمسِي وإذا أصْبَح: رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد ﷺ رسولاً = كان حقًّا على الله أنْ يُرْضِيَهُ**»(١).

= والترمذي (٣٥٠١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩)، وغيرهم.
قال الترمذيّ: «هذا حديث غريب».
وأخرجه الضياء في «المختارة» (٧/ ٢١٠).
ورُوِي من وجهٍ آخر عن أنس رضي الله عنه، عند أبي داود (٥٠٣٠)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٩٢٨ ـ ٩٢٩) وغيرهما.
وأخرجه الضياء في «المختارة» (٧/ ٢٢٥).
وحسَّن الحديثَ الحافظُ بن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) بمجموع طريقيه، وقال المصنف في «زاد المعاد» (٢/ ٣٧٢): «حديث حسن».
وانظر: «الروض البسّام» (٤/ ٤١٦ ـ ٤١٩) للدّوسري.
تنبيه: لفظُ الحديث عند الترمذيّ ـ كما في المطبوع ـ: «... اللهم أصبحنا نشهدك... (إلى أن قال:) إلاّ غُفِر له ما أصاب في يومه ذلك، وإن قالها حين يمسي غفر الله له ما أصاب في تلك الليلة من ذنب».
واللفظ الذي ذكره المصنّفُ هنا هو لفظ أبي داود.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٩)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٩٣٢)، وابن جُمَيْع في «معجم شيوخه» (١٢٣)، والذهبيُّ في «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٩٦٨ ـ ٩٦٩) وغيرهم.
قال الترمذيّ: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وحسّنه ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٧١).
وقال الذهبيّ: «غريب، تفرّد به عقبة، فأخرجه الترمذيُّ من حديثه وحسّنه». وله شواهد تقوّيه.
وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٥٠٢٠).

وفي الترمذي: «**من دخل السُّوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحْيِي ويميت، وهو حَيٌّ لا يموت، بيده الخَيْرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير= كتب الله له ألْفَ ألْفَ حسنة، ومحا عنه ألْف ألْف سيئة، ورفع له ألْفَ ألْفَ درجة**»[1].

الرابعة والثلاثون: أن دوامَ ذِكر الرب تبارك وتعالى يُوجِب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده؛ فإن نسيان الرب[2] سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٢٨)، والدارميُّ (٢/ ٧٤٧)، وابن عديّ في «الكامل» (١/ ٤٣٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

قال الترمذيّ: «هذا حديث غريب».

وفي إسناده: «أزهر بن سنان» وهو ضعيف.

ورُوِي من وجهٍ آخر عند ابن ماجه (٢٢٣٥)، وأحمد (١/ ١٧٥) وغيرهما. قال أبو حاتم الرازي ـ كما في «العلل» (٢/ ١٧١) ـ: «هذا حديث منكرٌ جدّاً...»، وقال المصنّف في «تهذيب سنن أبي داود» (٧/ ٢٥٨): «هذا حديث معلولٌ لا يثبت مثله».

ورُوِي من وجهٍ آخر عند ابن عديّ في «الكامل» (٥/ ٩١)، والحاكم (١/ ٥٣٩) وغيرهما.

قال البخاريّ ـ كما في «العلل الكبير» للترمذي (٣٦٣) ـ: «هذا حديث منكر»، وكذا قال أبو حاتم في «العلل» (٢/ ١٨١).

وله طرقٌ أخرى ضعيفة، وانظر: «علل الدارقطني» (٢/ ٤٨ـ٥٠)، و«المنار المنيف» (٣٣ ـ ٣٥) للمصنّف، و«مسند الفاروق» لابن كثير (٢/ ٦٤١ ـ ٦٤٣).

(٢) (ت): «العبد»، و(م): «العبدِ الذكرَ».

وإذا نسي العبدُ نفسه أعرض عن مصالحها، ونَسِيَها، واشتغل عنها؛ فهلكت وفسدت ولابُدّ، كمن له زرعٌ أو بستانٌ أو ماشيةٌ أو غير ذلك مِمّا صلاحُه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه، واشتغل عنه بغيره، وضَيَّع مصالحه؛ فإنه يفسد ولابُدّ. هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه؛ فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها، واشتغل عن مصالحها، وعطَّل مراعاتها، وترك القيام عليها بما يصلحها؟! فما شئت من فسادٍ وهلاكٍ وخيبةٍ وحرمان!.

وهذا هو الذي صار أمره كله فُرُطاً، فانفرط[1] عليه أمره، وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القُطوع والخيبة والهلاك.

ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى، واللَّهَجِ به، وأن لا يزال اللسان رطباً به، وأن يُنزله منزلة حياته التي لا غنى له عنها، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمُه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد، وبمنزلة الكِنِّ[2] في شدة الشتاء والسَّموم[3].

فحقيقٌ بالعبد أن يُنزِل ذكر الله منه[4] بهذه المنزلة، وأعظم؛ فأين

---

(١) (م): «ففرط».

(٢) هو مايردُّ الحرّ والبرد من الأبنية والمساكن.

(٣) السَّموم: هي الريح الحارّة. قال أبوعبيدة: «السَّموم بالنهار، وقد تكون بالليل». «اللسان» (٦/ ٣٧٣).

(٤) «منه» من (ح) و(ق).

هلاك الروح والقلب وفسادها من هلاك البدن وفساده؟!، وهذا هلاكٌ لابُدَّ منه وقد يعقبه صلاح الأبد، وأما هلاك القلب والروح فهلاكٌ لا يُرجَى معه صلاح ولا فلاح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها.

فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦]، أي تُنْسَى في العذاب كما نسيت آياتنا، فلم تذكرها ولم تعمل بما فيها.

وإعراضُه عن ذكره يتناول إعراضَه عن الذكر الذي أنزله، وهو كتابه، وهو المراد، ويتناول إعراضَه عن أن يَذْكُرَ ربه بكتابه، وأسمائه، وصفاته، وأوامره، وآلائه، ونعمه؛ فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى، فإن الذكر[1] في الآية إما مصدرٌ مضافٌ إلى معموله الذي هو المذكور، وإما اسمٌ[2] مضافٌ إلى الفاعل، أو مضافٌ إضافة الأسماء المحضة، أي: من أعرض عن كتابي ولم يَتْلُه، ولم يتدبره، ولم يعمل به، ولم يفهمه[3] = فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مُضَيَّقةً[4]

---

(١) (ت) و(م) و(ق): «فالذكرُ».

(٢) «مضاف إلى معموله الذي هو المذكور، وإما اسم» مِنْ (م).

(٣) (ت) و(ح) و(ق): «ولا فهمه».

(٤) (ت) و(م): «منغصة».

عليه، مُنكَّدة، مُعذَّباً فيها.

والضَّنْكُ: الضيق والشدة والبلاء، وَوصْفُ المعيشةِ نَفْسِها بالضنك مبالغةٌ، وفُسِّرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح: أنها تتناول معيشته في الدنيا، وعذابه في البرزخ؛ فإنه يكون في ضَنْكٍ في الحالَيْن[1]، وهو شدة وجَهْدٌ وضِيق، وفي الآخرة يُنْسَى في العذاب.

وهذا عكسُ أهل السعادة والفلاح؛ فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، وفي البرزخ، ولهم في الآخرة أفضل الثواب، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] فهذا في البرزخ والآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣] فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

---

(١) (ح) و(ق): «الدارين».

فهذه أربعة مواضع ذكر الله تعالى فيها أنه يَجْزِي المحسن بإحسانه جزائين: جزاءً في الدنيا، وجزاءً في الآخرة. فالإحسانُ له جزاءٌ مُعَجَّلٌ ولابُدّ، والإساءة لها جزاءٌ مُعَجَّلٌ ولابُدّ.

ولو لم يكن إلا ما يُجَازى به المُحْسِنُ[1]: من انشراح صدره، وانفساح قلبه، وسروره، ولذته بمعاملة ربه عز وجل، وطاعته، وذكره، ونعيم روحه بمحبته وذكره، وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه.

وما يُجَازى به المسيء: مِنْ ضيق الصدر، وقسوة القلب، وتَشَتُّتِه، وظُلْمَتِه، وحزازاته[2]، وغمه، وهمه، وحزنه، وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حِسٍّ وحياة يرتابُ فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق[3] عقوباتٌ عاجلة، ونارٌ دنيوية، وجهنَّمُ حاضرةٌ.

والإقبالُ على الله تعالى، والإنابة إليه، والرضى به وعنه[4]، وامتلاء القلب من محبته، واللَّهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته = ثوابٌ عاجل، وجَنَّةٌ حاضرة، وعَيْشٌ لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة.

---

(١) (ت) و(م): «المحسنين»، والضمائر بعده بصيغة الجمع.
(٢) «وحزازاته» من (ح) و(ق).
(٣) «والضيق» من (ح) و(م) و(ق).
(٤) (ت) و(ح): «والرضى عنه».

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: «إنّ في الدنيا جَنَّةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة».

وقال لي مرة: «ما يصنع أعدائى بي؟!، أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»[1].

وكان يقول في محبسه بالقلعة: «لو بذلت لهم[2] ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة»، أو قال: «ما جزيتهم على ما تسبَّبوا لي فيه من الخير»، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله.

وقال لي مرة: «المحبوس من حُبِس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه».

ولما أُدخِل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣].

وعَلِمَ اللهُ ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضِدِّها، ومع ما كان فيه من الحبس

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٥٩).

(٢) «لهم» من (م).

والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من[1] أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرّهم نفساً[2]، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض= أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوةً ويقيناً وطمأنينةً.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوْحِها ونسيمها وطِيبها ما استفرغ قُواهم لطلبها[3]، والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف»[4].

وقال آخر: «مساكينُ أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب مافيها!» قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: «محبةُ الله تعالى ومعرفته وذِكره»، أو نحو هذا.

وقال آخر: «إنه لتمرُّ بالقلبِ أوقاتٌ يرقُص فيها طرباً».

---

(١) «مِن» من (ح).
(٢) (ت) و(ح): «وأشرحهم نفساً».
(٣) (ت) و(م): «ما قوّاهم لطلبها».
(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٧٠)، والبيهقي في «الزهد» (٢/ ٨١) عن إبراهيم بن أدهم.

وقال آخر: «إنه لتمرُّ بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عَيْشٍ طيِّب».

فمحبةُ الله تعالى، ومعرفته، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته= هو جَنَّةُ الدنيا، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المُحِبّين، وحياة العارفين.

وإنما تَقَرُّ أعين الناس[1] بهم على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل؛ فمن قَرَّتْ عينه بالله قَرَّتْ به[2] كُلُّ عين، ومن لم تَقَرَّ عينه بالله تقطَّعت نفسه على الدنيا حسرات.

وإنما يصدِّق بهذه الأمور من في قلبه حياة، وأما ميت القلب فيوحِشُك، ثُمَّ فاسْتأنِسْ[3] بغيبته ما أمكنك، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك[4]، فإذا ابتليت به، فأعطه ظاهرك، وتَرَحَّلْ عنه بقلبك، وفارقه بسرِّك، ولا تشتغل به عما هو أولى بك.

---

(١) (ت) و(ح) و(ق): «عيون الناس».

(٢) (ت): «عينه».

(٣) (ت): «تستأنس»، و(م): «ثم قال فاستبشر»! والعبارةُ قلقة كما ترى، ويمكن أن تُقرأ: «فيوحشك ثَمَّ» (أي: هنا).

(٤) «عندك» من (ح) و(ق).

واعلم أن الحسرة كلَّ الحسرة الاشتغالُ بمن لا يُجْدِي عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك عليك، وَشَتَاتِ قلبك عليك، وضعف عزيمتك، وتفرُّقِ همِّك[1].

فإذا بُلِيت بهذا ـ ولابُدَّ لك منه ـ فعامِل الله تعالى فيه، واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرَّب إلى الله بمرضاته فيه، واجعل اجتماعك به مَتْجَراً لك، لا تجعله خسارة، وكن معه كرجلٍ سائرٍ في طريقه عَرَضَ له رجلٌ وَقَفهُ عن سيره، فاجْتَهِدْ أن تأخذه معك وتسير به، فَتَحْمِله ولا يحملك[2]؛ فإن أبى ولم تَلْقَ في سيره مطمعاً، فلا تقف معه، بل اركب الدَّرْبَ ودَعْهُ ولا تلتفت إليه؛ فإنه قاطعُ طريقٍ، ولو كان من كان، فانْجُ بقلبك، وضِنَّ بيومك وليلتك، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة فَتُؤْخَذ، أو يطلع عليك الفجر وأنت في المنزلة فَيَسِيرَ الرِّفاقُ فتصبح وحدك، وأنَّىٰ لك بِلَحاقهم!.

الخامسة والثلاثون: أن الذكر يُسَيِّر العبدَ وهو قاعد على فراشه، وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، ومعاشه، وقيامه وقعوده واضطجاعه، وسفره وإقامته، فليس في الأعمال شيءٌ يَعُمُّ الأوقات والأحوال مثله، حتى إنه يُسَيِّر العبدَ وهو نائمٌ على فراشه، فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا وقد قطع الرَّكْبَ وهو مُسْتَلْقٍ على

---

(١) (ت) و(م): «همّتك».

(٢) (ت) و(م) و(ق): «ويحملك»، والمثبت من (ح)، ولعلّه الصّواب.

فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقَةِ الرَّكْبِ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

وحُكِي عن رجل من العُبّاد: أنه نزل برجل من العُبّاد ضيفاً، فقام العابد ليله يصلي، وذلك الرجل مُسْتَلْقٍ على فراشه، فلما أصبحا قال له العابد: سبقك الرَّكْبُ، أو كما قال، فقال: ليس الشأنُ فيمن بات ليله مسافراً وأصبح مع الرَّكْبِ، الشأنُ فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الرَّكْبَ!.

وهذا ونحوه له محملٌ صحيح، ومحملٌ فاسد؛ فمن حمله على أنّ الراقد المضطجع[1] على فراشه يسبق القائم القانت، فهو باطل، وإنما مَحْمَلُه أن هذا المستلقي على فراشه عَلَّقَ قلبه بربه عز وجل، وألصق حَبَّة قلبه بالعرش، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة، قد غاب عن الدنيا وما فيها، وقد عاقه عن قيام الليل عائقٌ من وَجَعٍ أو بَرْدٍ يمنع[2] القيام، أو خوفٍ على نفسه من رؤية عدوٍّ يطلبه، أو غير ذلك من الأعذار، فهو مُسْتَلْقٍ على فراشه، وفي قلبه ما الله أعلمُ به.

وآخرُ قائم يصلي ويتلو، وفي قلبه من الرياء والعُجْبِ، وطلبِ الجاه والمَحْمَدة عند الناس ماالله به عليم، أو قلبه في وادٍ وجسمه في وادٍ، فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة، فالعمل

---

(١) (ت) و(ق): «والمضطجع».

(٢) (ت) و(ق): «يمنعه».

على القلوب، لا على الأبدان، والمعوَّل على الساكن، لا على الأطلال، والاعتبار بالمحرِّك الأوّل، فالذكر يُثِير العزم الساكن، ويهيِّج الحُبَّ المتواري، ويبعث الطلب الميِّت.

السادسة والثلاثون: أن الذِّكر نورٌ للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور[1] بمثل ذكر الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالى، المعرض عن ذكره ومحبته.

والشأنُ كلُّ الشأنِ، والفلاحُ كلُّ الفلاحِ في النور، والشقاءُ كلُّ الشقاءِ في فواته.

ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤاله[2] ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه، وعظامه، وعصبه، وشعره، وبَشَره، وسمعه، وبصره، ومن فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، وخلفه، وأمامه، حتى يقول: «**واجعلني نوراً**»[3].

---

(١) (ت) و(ح) و(ق): «ولا القبور».

(٢) (ح): «سؤال».

(٣) أخرجه مسلم (٧٦٣/ ١٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذاته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجُمْلَته نوراً.

فدينُ الله عز وجل نورٌ، وكتابه نورٌ، وداره التي أعدها لأوليائه نورٌ يتلألأ، وهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض، ومن أسمائه النور، والظلماتُ أشرقت[1] لنور وجهه.

وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف: «**أعوذ بِنُورِ وَجْهِك الذي أَشْرَقَتْ له الظُّلمات، وصَلَح عليه أمْرُ الدنيا والآخرة = أنْ يَحِلَّ عليَّ غَضَبُك، أو يَنْزِلَ بي سَخَطُك، لك العُتْبى حتى تَرْضى، ولا حول ولا قوة إلاّ بك**»[2].

---

(١) (ح): «وأشرقت الظلمات».

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٣ ـ قطعة من الأجزاء المفقودة)، و«الدعاء» (٢/ ١٢٨٠) ـ ومن طريقه أبو زكريّا بن منده في «جزء فيه ذكر أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني...» (٣٤٦/٢٥ ـ ملحق بالمعجم الكبير)، والضياء في «المختارة» (٩/ ١٨١) ـ، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١١) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ١٥١) ـ، كلهم من طريق أبي صالح الرسعني القاسم بن الليث عن محمد بن صفوان عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه.

وهذا إسناد حسن، وعنعنة ابن إسحاق لا تضرّ هاهنا؛ فإنّ حديثه هذا من أخبار المغازي والسِّيَر التي عَظُمت عنايته بها، وقَبِلها منه الأئمة، ولا نكارة في إسناده ولا في متنه (وانظر: «الردّ على الجهميّة» لابن منده: ٩٩).

وقد صحّحه الضياء المقدسي بإيراده إيّاه في «الأحاديث المختارة».

وقال ابن عديّ: «حديث أبي صالح الرّسعني لم نسمع أنّ أحداً حدّث بهذا=

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ليس عند ربِّكم ليلٌ ولا نهار، نورُ السموات والأرض من نور وجهه»[1].

وفي بعض ألفاظ هذا الأثر: «نور السموات والأرض من نور وجهه»[2]. ذكره عثمان الدارمي[3].

وقد قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

= الحديث غيره، ولم نكتبه إلاّ عنه».

وأبو صالح ثقة مأمون كما قال الدارقطني، وقد أكثر عنه ابن عديّ، ولم ير فيه شيئاً يستحق أن يُدْخِله به في «كامله».

ولم ينفرد بالحديث؛ فقد أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السّامع» (٢/ ٤١٤) ـ وانظر: «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٨٢) ـ من طريق الطبراني عن محمد بن جعفر بن الإمام عن علي بن المديني عن وهب بن جرير بإسناده المتقدم. وهذا إسناد حسن كسابقه.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٧٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٧٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١١١ ـ ١١٢) وغيرهم بإسنادٍ ضعيف.

قال البيهقي: «هذا موقوف، وراويه غير معروف».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٦٤) ـ: «وثبت عن ابن مسعود...» فذكره.

وفي (ق): «نور السماوات من نور وجهه».

(٢) كذا في الأصول. وروايةُ الدارمي: «نور السماوات من نور وجهه»، وهو الذي يناسب السياق.

(٣) «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهميّ العنيد» (١١٤).

وأخرجه ـ أيضاً ـ بهذا اللفظ: أبو داود في «الزهد» (١٦٨).

وهو عندهما بالإسناد الضعيف المتقدم نفسه.

فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده، أشرقت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذ بشمسٍ ولا قمر؛ فإن الشمس تُكَوَّر، والقمر يخسف، ويَذْهَبُ نورُهما، وحجابُه تبارك وتعالى النور.

قال أبو موسى: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ فقال: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يَخْفِضُ القِسْط ويَرْفَعُه، يُرْفَعُ إليه عمل الليلِ قبل عمل النَّهار، وعملُ النهارِ قبل عملِ الليل، حِجابُهُ النُّور، لو كشفه لأحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بَصَرُه مِن خَلْقِه**». ثم قرأ: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨][1].

فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه، ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره[2].

ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل، وكشف من الحجاب شيئاً يسيراً، ساخ الجبل في الأرض، وتدكدك، ولم يقم لربه تبارك وتعالى.

وهذا معنى قول ابن عباس في قوله[3] سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: «ذلك الله عز وجل، إذا تجلى بنوره لم يقم له شيء»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) إلاّ قراءة أبي عبيدة (الراوي عن أبي موسى) للآية؛ فإنها عند أحمد (٦/ ٦٠٩)، والطيالسي (١/ ٣٩٦) وغيرهما.

(٢) من قوله في الحديث: «مِنْ خلقه» إلى هنا، ساقط من (ت).

(٣) (ت) و(م): «في معنى قوله».

(٤) أخرجه الترمذي (٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩)، وابن =

وهذا من بديع فَهْمِه رضي الله تعالى عنه، ودقيقِ فِطْنَتِه، وكيف لا وقد دعا له[1] رسول الله ﷺ أن يعلِّمه الله التأويل؟!.

فالربُّ تبارك وتعالى يُرَى يوم القيامة بالأبصار عياناً، ولكنْ يستحيل إدراك الأبصار له وإن رأته؛ فالإدراكُ أمرٌ وراء الرؤية، وهذه الشمس ـ ولله المثل الأعلى ـ نراها ولا ندركها كما هي عليه، ولا قريباً من ذلك؛

= خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠/ ٢٧٩ مختصراً)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٧٦)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

وصححه ابن خزيمة بإيراده إيّاه في كتاب «التوحيد» دون إشارةٍ منه لضعفه، وقال ابن أبي عاصم عقب روايته: «وفيه كلام» = أي: وفي حديث ابن عباس في الرؤية بقيّةٌ أعرضتُ عن ذكرها. يريدُ بذلك ما جاء في حديث حماد بن سلمة الطويل في الرؤية عن ابن عباس، وقد تجنّب ابن أبي عاصم ذكره بطوله في كتابه، وإنما رواه مختصراً.

وهذا الذي ذكرتُ من تفسير قوله: «وفيه كلام» أولى من حمل البعض هذا القول على أنه تضعيف من ابن أبي عاصم للرواية التي معنا، والله أعلم.

ورُوِي الحديث من وجهٍ آخر:

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٦)، ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣).

قال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، فتعقّبه الذهبيُّ بقوله: «قلتُ: بل إبراهيم متروك»، وبإبراهيم هذا أعلّه البيهقي، والهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١٥).

وصحّحه الإمام أحمد، كما في «المنتخب من العلل للخلال» (٢٨٠).

(١) (ت): «وكيف قد دعا له»، وفي (ح) و(ق): «وكيف وقد دعا له».

ولذلك قال **ابن عباس** لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، فقال: ألستَ ترى السماء؟ قال: بلى، قال: أفتدركها؟ قال: لا، قال: فالله تعالى أعظم وأجلُّ[1].

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى لنوره في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا العالمون، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور: ٣٥].

قال أبيُّ بنُ كعب: «مَثَلُ نُورِه في قلب المسلم»[2].

وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه مِنْ معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم، فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين

---

(١) لم أقف عليه. وورد نحوه عن عكرمة مولى ابن عباس، أخرجه الطبريّ في «التفسير» (٢٢/ ٥١٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٠٧).

(٢) ورد قريبٌ منه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، أخرجه الطبريُّ (١٩/ ١٧٩)، وأخرج عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾: «ذَكَر نور المؤمن فقال: مثل نوره، يقول: مثل نور المؤمن».
فجعل الضمير في «نوره» يعود على المؤمن، وهذا يخالف اختيار المصنّف ونقله عن أُبيّ، وانظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٤٩) للمصنف.

الناس، وأصلُه في قلوبهم، ثم تَقْوَى مادته، وتتزايد[1] حتى تظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودُورهم، يُبْصِرُه مَنْ هو مِنْ جنسهم، وسائر الخلق له منكرون[2].

فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور، وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجِسْر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنجم[3]، وآخر كالسراج، وآخر يُعْطَى نوراً على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ أخرى، إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا، فأُعْطِيَ على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عياناً، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا، بل كان نوره ظاهراً، لا باطناً = أُعطِي نوراً ظاهراً مآله إلى الظلمة والذَّهاب.

وضرب الله عز وجل لهذا النور، ومحلِّه، وحامله، ومادته مثلاً بالمشكاة، وهي الكُوَّة في الحائط، فهي مثل الصَّدْرِ، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج، وحتى شُبِّهت بالكوكب الدُّرِّيِّ في بياضه وصفائه، وهي مثل القلب، وشُبِّه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافاً هي في قلب المؤمن، وهي: الصفاء، والرقة، والصلابة، فيرى الحق والهدى

---

(١) (ح): «فتتزايد»، وفي (ق): «ثم يقوى مادته ويتزايد».
(٢) (ح) و(ق): «منكر».
(٣) (ح): «كالنجوم».

بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة بِرقَّتِه، ويجاهد أعداء الله تعالى، ويغلظ عليهم، ويشتد في الحق، ويصلب فيه بصلابته، فلا تُبْطِل صفةٌ منه صفةً أخرى[1]، ولا تعاديها، بل تساعدها وتُعاضِدُها، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وفي أثرٍ: «القُلوبُ آنيةُ الله تعالى في أرْضه، فَأَحَبُّها إليْهِ أرَقُّها، وَأصْلَبُها، وَأصْفَاها»[2].

وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض.

أحدهما: قلبٌ حَجَرِيٌّ قاسٍ لا رحمة فيه، ولا إحسان ولا بِرّ، ولا له صفاء يَرى به الحق، بل هو جبارٌ جاهل، لا عالمٌ بالحق، ولا راحمٌ للخلق[3].

---

(١) (ت): «فلا تبطل صفة منه أخرى».

(٢) أخرجه الطبرانيُّ في «مسند الشاميين» (٢/١٩) عن أبي عنبة الخولاني مرفوعاً.
قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ١٦٩١):
«وإسناده جيّد». وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٦٩١).
ورُوِي من وجوهٍ أخرى مرفوعاً وموقوفاً.

(٣) (ح) و(ق): «لا علم بالحقّ، ولا رحمة للخلق».

وبإزائه قلبٌ ضعيف مائيّ، لا قوة فيه، ولا استمساك، بل يَقْبَل كل صورة، وليس له قوة حفظ تلك الصُّور، ولا قوة التأثير في غيره، وكلُّ ما خالطه أثَّر فيه، من قويٍّ وضعيف، وطيِّبٍ وخبيث.

وفي الزجاجة مصباح، وهو النور الذي في الفتيلة، وهي حاملته، ولذلك[1] النورِ مادّةٌ، وهي زيتٌ قد عُصِر من زيتونةٍ في أعدل الأماكن، تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فزيتُها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر، حتى إنه ليكاد[2] من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح.

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن، هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة، وأبعدها من الانحراف، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها، لم تنحرف انحراف النصرانية، ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومَيْن في كل شيء، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن.

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء بنفسه، ثم خالط النار، فاشتدت بها إضاءته، وقويت مادةُ ضوءِ النار به= كان ذلك نوراً على نور.

---

(١) (ت) و(ق): «وكذلك».

(٢) (م) و(ق): «يكاد».

وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله، ولكنْ لا مادة له من[1] نفسه، فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه، وخالطت بشاشته[2]، فازداد نوراً بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة، نورٌ على نور[3]، فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثراً، ثم يسمع الأثر مطابقاً لما شهدت به فطرته، فيكون نوراً على نور، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملاً، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة.

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة، ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة، فَذَكَر سبحانه وتعالى نورَه في السموات والأرض، ونورَه في قلوب عباده المؤمنين، النورَ المعقولَ المشهودَ بالبصائر والقلوب[4]، الذي استنارت به البصائرُ والقلوبُ، والنورَ المحسوسَ المشهود بالأبصارِ، الذي استنارت به أقطار العالم العُلْوي والسُّفْلِي، فهما نوران عظيمان، وأَحدهما أعظم من الآخر.

وكما أنه إذا فُقِد أحدهما من مكان أو موضع، لم يَعِشْ فيه آدميٌّ ولا غيرُه؛ لأن الحيوان إنما يتكوَّن حيثُ النور، ومواضعُ الظلمة التي لا

---

(١) «من» ساقطة من (ت).
(٢) (ت) و(م): «وخالطت قلبه بشاشته».
(٣) من قوله «الذي فطره الله» إلى هنا، ساقط من (م).
(٤) (م): «والنور».

يشرق عليها نورٌ لا يعيشُ فيها حيوانٌ، ولا يتكوَّنُ ألبتة = فكذلك أمة فُقِد منها نور الوحي والإيمان، وقلبٌ فُقِد منه هذا النور ميّتٌ ولابُدّ، لا حياة له ألبتة، كما لا حياة للحيوان في مكانٍ لا نور فيه.

والله سبحانه وتعالى يَقْرِنُ بين الحياة والنور، كما في قوله عز وجل: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد قيل: إن الضمير في «جعلناه» عائد إلى الأمر، وقيل: إلى الكتاب، وقيل: إلى الإيمان، والصواب: أنه عائد إلى الروح، أي: جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نوراً[1]، فسمّاه رُوحاً لما يحصل به من الحياة، وجعله نوراً لما يحصل به من الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان، فحيث وُجِدت هذه الحياة بهذا الروح وُجِدت الإضاءة والاستنارة، وحيث وُجِدت الاستنارة والإضاءة وُجِدت الحياة، فمن لم يقبل قلبه هذا الروح فهو ميّت مظلم، كما أن من فارق بدنَه روحُ الحياة

---

(١) وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، كما نقله المصنِّف في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٨٧ ـ ٨٨).

وانظر: «الجواب الصحيح» (٣/ ٤١٠ ـ ٤١١، ٤٨٧)، و«مجموع الفتاوى» (١٥/ ٧٣).

فهو هالك مُضْمَحِلّ.

فلهذا يضرب سبحانه وتعالى المثلين: المائيّ والناريّ معاً[1]؛ لما يحصل بالماء من الحياة، وبالنار من الإشراق والنور، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

وقال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: بنارهم؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم مافيه الأذى والإحراق.

وكذلك حال المنافقين: ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي حرارة[2] الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبِهم، وقلوبُهم قد صلِيَتْ بحرِّها وأذاها وسمومها وَوَهَجِها في الدنيا، فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة ناراً موقدةً تطَّلع على الأفئدة.

فهذا مَثَلُ من لم يَصْحَبْهُ نور الإيمان في الدنيا، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به، وهو حال المنافق، عَرَفَ ثم أنكر، وأقر ثم جحد، فهو في ظلماتٍ أصمُّ أبكمُ أعمى، كما قال تعالى في حق إخوانهم من

---

(١) انظر: «درء التعارض» (٣/ ١٨٦ ـ ١٨٧)، و«التحفة العراقية» (١٠/ ١٠٢ ـ مجموع الفتاوى)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (٦٣ ـ ٧١، ٧٩ ـ ٨٩)، و«إعلام الموقعين» (١/ ١٥٠ ـ ١٥٢)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ٣٠ ـ ٣٢).

(٢) (ح) و(ق): «وبقي في قلوبهم حرارة».

الكفّار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١].

وشَبَّه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحالِ مُسْتَوقِدِ النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين، وصلاتهم معهم، وصيامهم معهم، وسماعهم القرآن، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره، قد شاهدوا الضوء، ورأوا النور عياناً؛ ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٨]؛ لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبَّسوا به، واستناروا به[1] فهم لا يرجعون إليه.

وقال تعالى في حق الكفار: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾؛ لأنهم لم يعقلوا الإسلام، ولا دخلوا فيه، ولا استناروا به، بل لم يزالوا[2] في ظلمات الكفر، صمٌّ بكمٌ عُمْي.

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافياً، وإلى الإيمان وحقائقه منادياً، وإلى الحياة الأبديةِ والنعيم المقيم داعياً، وإلى طريق الرشاد هادياً.

---

(١) (ح): «واستناروا».

(٢) (ح): «بل يزالون».

لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذاناً واعية، وَشَفَتْ مواعظُ القرآن لو وافقت قلوباً من غَيِّها خالية، ولكن عَصَفَتْ على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها، وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبُها فلم ينفع فيها الكلام، وسَكِرَتْ بشهوات الغيِّ وشبهات الباطل فلم تُصْغِ بعده إلى الملام، وَوُعِظَتْ بمواعظ أنكى فيها من الأسِنَّة والسِّهام، ولكنْ ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأَسْرِ الهوى والشهوة، و«ما لِجُرْحٍ بميِّتٍ إيلام»[1].

(١) عجز بيتٍ للمتنبي، في «ديوانه» (١/ ٣٢٧ ـ العَرْف الطيّب)، وصدرُه: من يهن يسهل الهوان عليه.

فصل

والمثلُ الثاني المائيُّ قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: ١٩].

الصَّيِّبُ: المطر الذي يَصُوبُ من السماء، أي: ينزل منها بسرعة، وهو مَثَل القرآن الذي به حياة القلوب، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنون ذلك منه، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق، وهو الوعيد والتهديد، والعقوبات والمَثُلات التي حذر الله بها من خالف أمره[1]، وأخبر أنه مُنْزِلُها بمن كذَّب رسوله ﷺ، أو مافيه من الأوامر الشديدة، كجهاد الأعداء، والصبر على اللأواء، والأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إراداتها[2]، فهي كالظلمات والرعد والبرق[3]، ولكن مَنْ عَلِمَ مواقع الغيث وما يحصل به من الحياةِ لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك، ويفرح به لما يرجو من الحياة والخِصْب.

---

(١) (ت) و(م): «خالفه».

(٢) (م) و(ق): «إرادتها».

(٣) (ت): «والبرق، وهو الوعيد».

وأما المنافق فإنه لِعَمَى قلبه لم يجاوز بصرُه الظلمةَ، ولم يَرَ إلاّ برقاً يكاد يخطف البصر، ورعداً عظيماً وظلمة[1]، فاستوحش من ذلك وخاف منه، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع[2] صوت الرعد، وهالَه مشاهدة ذلك البرق، وشدة لمعانه، وعِظَمُ نوره، فهو خائف أن يختطف معه بصره؛ لأن بصره أضعف من أن يثبت معه، فهو في ظلمةٍ يسمع أصوات الرعد القاصف[3]، ويرى ذلك البرق الخاطف، فإنْ أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه، وإنْ فقد الضوء قام متحيِّراً لا يدري أين يذهب، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصَّيِّبِ الذي به حياةُ الأرض والنبات، وحياتُه هو في نفسه، بل لايدرك إلا رعداً، وبرقاً، وظلمةً، ولا شعور له بما وراء ذلك، فالوحشةُ لازمةٌ له، والرعبُ والفزعُ لا يفارقه.

وأما من أَنِس بالصَّيِّب وعلم ما يحصل به من الخيرات[4] والحياة والنفع، وعلم أنه لابُدّ فيه من رعدٍ وبرقٍ وظلمةٍ؛ بسبب الغيم= استأنس بذلك ولم يستوحش منه، ولم يَقْطَعْهُ ذلك عن أخذه بنصيبه من الصَّيِّب.

فهذا مَثَلٌ مُطابِقٌ للصَّيِّب الذي نزل به جبريل عليه السلام من عند

---

(١) «عظيماً» من (م) و(ح) و(ق).
(٢) (ت): «لا يسمع».
(٣) (ت): «العاصف».
(٤) (ح): «يحصل من الخير».

رب العالمين تبارك وتعالى، على قلب رسول الله ﷺ[1]؛ ليُحْيِيَ به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصَّيِّب المائيَّ[2]، حكمةً بالغةً، وأسباباً منتظمةً نظَّمها العزيز الحكيم.

فكان حظ المنافق من ذلك الصَّيِّب سحابُه ورُعُودُه وبُروقُه فقط، لم يعلم ما وراءه، فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب بما اطمأن به العالمون، وشك فيما تيقَّنه المُبْصِرُون العارفون، فبصره في المثل الناري كبصر الخُفاش في نحر الظهيرة[3]، وسَمْعُه في المثل المائيّ كسَمْعِ من يموت من صوت الرعد. وقد ذُكِر عن بعض الحيوانات أنها تموت من صوت الرعد[4].

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهاتٌ شيطانية، وخيالاتٌ فاسدة، وظنونٌ كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت فيها وقعدت، واتسع فيها مجالها، وكَثُرَ بها قِيلُها وقالُها، فملأت الأسماع

---

(١) (ت): «على قلب سيد المرسلين»، وفي (ق): «على قلب رسوله».

(٢) (ح): «الصيب الماء».

(٣) (ح) و(ق): «نحو الظهيرة».

(٤) ذكر منها الدّميريُّ في «حياة الحيوان» (١/ ٣٧٤، ٥٠٥): «الخطّاف»، و«السّمان»، وهما طائران، وقال عن الثاني: «ويُسمَّى: قتيل الرعد، من أجل أنه إذا سمع صوت الرعد مات».

من هذيانها، والأرض من دويانها[1]، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء، والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمُكَثِّرين لسوادهم عَدداً، وما أقلهم عندالله وأوليائه قدراً[2].

ولعموم البلية بهم، وضرر القلوب بكلامهم، هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهَتْك، وكشف أسرارهم غاية الكشف، وبَيَّن علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم، ولم يزل عز وجل يقول: «ومنهم...»، «ومنهم...»، «ومنهم...»= حتى انكشف أمرهم، وبانت حقائقهم، وظهرت أسرارهم.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات، وفي أوصاف الكفار آيتين، وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية؛ لعموم الابتلاء بهم، وشدة المصيبة بمخالطتهم، فإنهم من الجَلَدة[3] مظهرون

---

(١) (ح) و(ت) و(ق): «دواوينها»، وهو محتملٌ؛ ليشمل كلامُه المسموع والمكتوب، فالمسموع مِلْء الأسماع، والمكتوب مِلْء الأرض.
وفي «اللسان» (مادة: دوا): «والدَّوِيُّ: الصّوت، وقد دوّى الصوتُ يدوّي تدويةً، ودَوِيُّ الرّيح حفيفُها، وكذلك دويُّ النّحل». لكنْ لم أَجِدْ هذا المصدر «دويانًا»، ولا أعلمه يصحُّ قياسًا.

(٢) من قوله «عدداً» إلى هنا من (م) فقط.

(٣) (م): «الجملة»، ولعلّها: «الجلادة»، فالجَلَدُ والجلادة: الصّلابة. ويمكن أن تُقرأ: «الجِلْدة»، أي: من بني جلدتنا.

الموافقة والمناصرة، بخلاف الكافر الذي قد نابذ بالعداوة، وأظهر السريرة، ودعاك ـ بما أظهره[1] ـ إلى منابذته[2] ومفارقته.

(١) «بما أظهره» من (ح) و(م) و(ق).
(٢) (ق): «مزايلته».

فصل

ونظيرُ هذين المَثَلَيْن المثلان المذكوران في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧][1].

فهذا المثل هو المثل المائي، شبَّه سبحانه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب، بالماء الذي أنزله من السماء، وشَبَّه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل.

فقلبٌ كبيرٌ يَسَعُ علماً عظيماً كوادٍ كبير يَسَعُ ماءً كثيراً، وقلبٌ صغيرٌ كوادٍ صغيرٍ يَسَعُ علماً قليلاً، فحَمَلَتِ القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها.

ولما كانت الأودية[2] ومجاري السيول فيها الغُثاء ونحوه مما يمرُّ عليه السيل، فيحتمله[3] السيلُ فيطفو على وجه الماء زبداً عالياً، يمرُّ عليه متراكباً[4]، ولكنّ تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٧٦٦ ـ ٧٦٧)، و«درء التعارض» (٧/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦)، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠، ٤٠٧)، و«إعلام الموقعين» (١٥٢ ـ ١٥٣)، و«شفاء العليل» (١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢).

(٢) «ولما كانت الأودية» ساقط من (ت).

(٣) (ت) و(م): «فيحمله»، وفي (ق): «فتحتمله».

(٤) (ت): «عليه الماء متراكباً»، وفي (م) و(ق): «عالياً عليه متراكباً».

الوادي ذلك الغثاء إلى جَنَبَتَيْه حتى لا يبقى منه شيء، ويبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض، فيُحْيِي به البلاد والعباد، والشجر والدواب، والغثاءُ يذهب جُفاءً يُجْفَى، ويُطْرَح على شفير الوادي.

فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله من السماء[1] في القلوبِ، فاحْتَمَلَتْهُ، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزَبَدِ الشبهات الباطلة، فطفا في أعلاها، واستقرَّ العلم والإيمان والهدى[2] في جَذْرِ القلب، وهو أصله ومستقره، كما قال النبي ﷺ: «**نزل الإيمان في جَذْرِ قلوب الرجال**»[3]. رواه البخاري من حديث حذيفة[4].

فلا يزال ذلك الغثاء والزَّبَدُ يذهب جفاءً، ويزول شيئاً فشيئاً، حتى يزول كله، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جَذْرِ القلب، يَرِدُه الناس، فيشربون ويسقون ويزرعون.

وفي «الصحيح» من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ ما بعَثَني الله تعالى به من الهدى والعلم، كَمَثَلِ غَيْثٍ أصاب أرضاً، فكان**

---

(١) «من السماء» ساقط من (ح) و(ق).

(٢) «والهدى» من (ح) و(ق).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٩٧، ٧٠٨٦، ٧٢٧٦)، ومسلم (١٤٣).
وهو عندهما جميعاً بلفظ: «الأمانة» بدل «الإيمان»، ولم أقف عليه باللفظ الذي ذكره المصنّف في شيء من كتب الحديث.

(٤) من قوله «وهو أصله» إلى هنا، ساقط من (ت) و(ح) و(ق).

منها طائفةٌ طيِّبَةٌ قَبِلَتِ الماء فأنْبَتَتِ الكَلأ والعُشْبَ الكثير، وكان منها طائفةٌ أجادِبُ أمْسَكَت الماءَ فَسَقى النَّاسُ وزَرَعُوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ مَاءً، ولا تُنْبِتُ كلأً، فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دين الله تعالى، ونفعه بما بعثني الله به، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هُدى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ به»[1].

فجعل النبيُّ ﷺ الناسَ بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات[2]:

الطبقة الأولى: ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوةً[3] إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ، فهؤلاء أتباع الرسول صلوات الله عليه وسلامه حقّاً، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكَت، فقبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزَكَتْ في نفسها، وزكا الناسُ بها.

وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا[4] ورثة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

(٢) انظر: «الرسالة التبوكية» (٦٤ ـ ٦٧)، و«طريق الهجرتين» (١٧٢ ـ ١٧٣)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (٧٢)، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨) للمصنّف.

(٣) (م): «ودعوا».

(٤) (م): «وكذلك كان»، وفي (ق): «وكذلك كانوا».

فالأيدي: القوةُ في أمر الله، والأبصار: البصائر في دين الله عز وجل، فبالبصائر يُدْرَكُ الحق ويُعْرَف، وبالقوة يُتَمَكَّنُ من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه، فهذه الطبقة كان لها قُوّةُ الحفظ والفهم والفقه في الدين، والبصر بالتأويل، ففجَّرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورُزِقَتْ فيها فهماً خاصاً، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وقد سُئل ـ: هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيءٍ دون الناس؟ فقال: لا والذي فَلَق الحَبَّة وَبَرَأ النَّسَمَة، إلاّ فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه[1].

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة[2] عن:

الطبقة الثانية: فإنها حفظت النصوص، وكان هَمُّها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتَلَقَّوْها منهم، فاستنبطوا منها، واستخرجوا كنوزها،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٧).

(٢) عبَّر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن هذه الطبقة الأولى في موضع آخر بقوله ـ في «قاعدة شريفة في تفسير قوله ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾» (١/ ١٢٨ ـ جامع المسائل) ـ: «وإنّما القسم الأول من شرب قلبهُ معناه [أي: القرآن]، فأثّر في قلبه كما أثّر الماء في الأرض التي شربته، فحصل له من ذوق طعم الإيمان، ووجد [مِنْ] حلاوته ومحبة الله وخشيته والتوكّل عليه والإخلاص له، وغير ذلك من حقائق الإيمان الذي يقتضيها الكلام (كذا)، فهؤلاء كالطائفة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، ولابُدّ أن يظهر ذلك على جوارحهم كما يظهر الكلأ والعشب».
ثمّ بيّن مدلول لفظ «الفقه» و«الفقيه» في عرف السلف.
وانظر: «درء التعارض» (٧/ ٢٥٦).

واتَّجروا فيها، وبذروها في أرضٍ قابلةٍ للزرع والنبات، فاستخرجوا غوامضها وأسرارها[1]، ووردوها كلٌّ بِحَسَبِه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمع مقالتي فوعاها، فأدَّاها كما سمِعَها، فَرُبَّ حامل فِقْهٍ غير فَقِيهٍ، ورُبَّ حامِلِ فقهٍ إلى من هو أفْقَهُ مِنْه**»[2].

وهذا عبدالله بن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن، مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثاً الذي يقول فيه: «سمعت» و«رأيت»[3]، وسمع الكثير من الصحابة، وبُورِك في فهمه والاستنباط

---

(١) «فاستخرجوا غوامضها وأسرارها»، من (م) فقط.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد (٢/ ١٤٨)، وأبو يعلى (٩/ ٦٢)، والحميدي (١/ ٤٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٣١) وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (٦٦، ٦٨، ٦٩)، وقال أبو نعيم: «صحيح ثابت».
وانظر: «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (١٨ ـ ١٩)، و«موافقة الخُبْر الخَبَر» لابن حجر (١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥).
وورد الحديث من رواية جماعة من الصحابة، وعدّه غير واحدٍ من المتواتر.
انظر: «قطف الأزهار المتناثرة» (٢)، و«مفتاح الجنة» (٩) كلاهما للسيوطي، و«لقط اللآلىء المتناثرة» (٤٨) للزبيدي.

(٣) انظر: «مسند الحميديّ» (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٨) فقد عقد لهذه الأحاديث باباً خاصّاً، و«تهذيب سنن أبي داود» للمصنّف (٦/ ٣٦٢)، و«فتح الباري» لابن =

منه حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً.

قال أبو محمد بن حزم: وجُمِعَتْ فتاويه في سبعة أسفار كبار[1].

وهي بحسب ما بلغ جامعَها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سَمِع كما سمعوا، وحفظ كما حفظوا، ولكنّ أرضه كانت من أطيب الأراضي وأَقْبَلِها للزرع، فبذر فيها النصوص، فأنبتت من كل زوج كريم: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤].

وأين تقع فتاوى ابن عباس، وتفسيره، واستنباطه، من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟! وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق، يُؤَدِّي الحديث كما سمعه، ويَدْرُسُه بالليل درساً، فكانت هِمَّته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه[2]، وهِمَّةُ ابن

= حجر (١١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، و«تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٧٩).

(١) قال أبو محمد بن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/ ٩٢):
«وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فُتيا عبدالله بن العباس في عشرين كتاباً. وأبو بكر المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث». ونقله عنه المصنّف في «إعلام الموقعين»(١/ ١٢).
وانظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (٢٤).
أمّا العبارة التي نقلها «شيخ الإسلام» هنا عن ابن حزم فهذه إنّما قالها ابن حزم في الحسن البصري، كما في «الإحكام» (٥/ ٩٧)، وكما نقله عنه المصنّف في «إعلام الموقعين» (١/ ٢٤).

(٢) ولا يعني هذا أنّ هِمَّته هذه قد صَرَفَتْهُ عن التفقّه فيما حفظ من الحديث؛ فإنّه =

عباس مصروفة إلى التفقُّه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها[1].

وهكذا الناس بعده قسمان:

قسْمٌ حفاظٌ معتنون بالضبط، والحفظ، والأداء، كما سمعوا، ولا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

وقِسْمٌ معتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص، والتّفقُّه فيها.

فالأول كأبي زرعة، وأبي حاتم، وابن وارة[2].

= معدودٌ ـ رضي الله عنه ـ من فقهاء الصحابة، وذكره ابن حزم في «الإحكام» (٥/ ٩٢) في المتوسّطين ممنّ حُفِظَتْ عنهم الفتوى من الصحابة.
وقال الذهبيّ في «تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٢ ـ ٣٣):
«وكان من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الفتوى».
وقد جمع تقيُّ الدين السبكي فتاويه في جزء. انظر: «الجواهر المضيّة» للقرشي (٤/ ٥٤١). وانظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣) مهم.
والحديث عن فقهه ـ رضي الله عنه ـ طويل الذيل.
وإنما مراد المصنِّف (وشيخ الإسلام) الشأنَ الغالب عليه، بالمقارنةِ بواحدٍ من كبار فقهاء طبقته، وهو ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) من قوله عن الطبقة الأولى: «ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء...» إلى هنا، بحروفه من «نقض المنطق» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٩ ـ ٨٠).

(٢) هو محمد بن مسلم بن عثمان بن عبدالله، الحافظ الإمام المجوِّد، توفي سنة ٢٧٠. «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٨ ـ ٣١).

وقبلهم: كبُنْدار محمد بن بشار[1]، وعمرو الناقد[2]، وعبدالرزاق.

وقبلهم: كمحمد بن جعفر غندر[3]، وسعيد بن أبي عَرُوبة[4]، وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه، مِنْ غير استنباطٍ وتَصَرُّفٍ، واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص.

والقسم الثاني: كمالك، والليث، وسفيان، وابن المبارك[5]، والشافعي، والأوزاعي، وإسحاق، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأبي داود، ومحمد بن نصر المروزي، وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية.

---

(١) هو محمد بن بشار بن عثمان بن داود، الإمام الحافظ، راوية الإسلام، بُنْدار؛ لُقِّب بذلك لأنه كان بُندار الحديث في عصره وبلده، والبُندار: الحافظ، توفي سنة ٢٥٢. «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٤٤ ـ ١٤٩).

(٢) هو الإمام الحافظ الحجة أبو عثمان عمرو بن محمد بن بكير بن سابور البغدادي، الناقد، توفي سنة٢٣٢. «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٣) هو الحافظ المجوِّد الثَّبْت أبو عبدالله الهذلي، أحد المتقنين، سمّاه ابن جريج: غُندراً؛ لأنه تعنّت في الأخذ عليه، توفى سنة ١٩٣. «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٩٨ ـ ١٠١).

(٤) هو الإمام الحافظ، عالم أهل البصرة، وأول من صنّف السنن النبوية، أبو النضر بن مهران العدوي البصري، توفى سنة ١٥٦. «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٤١٣ ـ ٤١٨).

(٥) «والليث وسفيان وابن المبارك» من (م) فقط.

فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ، وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأساً[1].

وأما الطائفة الثالثة: وهم أشقى الخلق، الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأساً، فلا حِفْظَ، ولا فَهْمَ، ولا رواية، ولا دراية، ولا رعاية.

فالطبقة الأولى: أهل رواية ورعاية ودراية.

والطبقة الثانية: أهل رواية ورعاية، ولهم نصيب من الدراية، بل حظهم من الرواية أوفر.

والطبقة الثالثة: الأشقياء، لا رواية، ولا دراية، ولا رعاية. ﴿إِنْ

---

(١) عبّر شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الطبقة (الطائفة) الثانية بقوله ـ (١/ ١٢٧ ـ جامع المسائل) ـ:

«وهذه حال من يحفظ العلم ويؤدّيه إلى من ينتفع به، . . . .

وبعضُ الناس قال: إن الأول مثل الفقهاء، والثاني مثل المُحَدِّثين.

والتحقيقُ أنّ الذين سمّاهم فقهاء، إذا كان مقصودهم إنما هو فهم الحديث وحفظ معناه وبيان ما يدلّ عليه، بخلاف المحدّث الذي يحفظ حروفه فقط = فالنوعان مثل الممسك الحافظ المؤدّي لغيره حتى ينتفع به، لكنّ الأوّل فهم من مقصود الرسول ما لم يفهمه الثاني.

وكذلك القرآن، إذا كان هذا يحفظ حروفه، وهذا يفهم تفسيره، وكلاهما قد وعاه وحفظه وأدّاه إلى غيره = فهما من القسم الثاني».

ثمّ بيّن ـ رحمه الله ـ من هو القسم الأوّل (الطائفة الأولى)، وقد سبق نقلُه.

﴿هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]، فهم الذين يضيّقون الديار، ويُغلون الأسعار، إنْ هَمُّ أحدِهم إلا بطنُه وفرجه، فإن ترقَّتْ هِمَّتهُ فوق ذلك كان همُّه ـ مع ذلك ـ في لباسه وزينته، فإن ترقَّتْ هِمَّته فوق ذلك كان في داره وبستانه ومركوبه، فإن ترقَّتْ هِمَّته فوق ذلك، كان هَمُّه في الرياسة والانتصار للنفس [الكلبيَّة، فإن ارتفعت هِمَّته عن نصرة النَّفس الكلبيَّة، كان همُّه في نصرة النفس السَّبُعيَّة][1].

وأمّا النفس المَلَكِيّة فلم يُعْطَها أحدٌ من هؤلاء.

فإنّ النفوس ثلاثة: كلبيّة وسَبُعِيّة، ومَلَكية.

فالكلبيّة: تقنع بالعَظْمِ، والكِسْرة، والجِيفة، والعَذِرَة.

والسَّبُعيَّة: لا تقنع بذلك، بل بقهر النفوس، والاستعلاء عليها بالحق والباطل.

وأما المَلَكِيّة: فقد ارتفعت عن ذلك، وشمَّرت إلى الرفيق الأعلى، فهِمَّتُها العلم والإيمان، ومحبة الله تعالى، والإنابة إليه، والطمأنينة به، والسكون إليه، وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذه لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربِّها ووليِّها، لا لتنقطع به عنه.

---

(١) ورد ما بين المعكوفين في النُّسخ التي بين يديَّ هكذا:
«الغضبيّة، قد ارتفعت نفسه عن نصرة النفس الكلبيّة إلى نصرة النفس السّبُعية». وهو غير مستقيم كما ترى، وقد أثبتُّ الذي أراه صواباً من طبعة الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله تعالى.

فصل

ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً ثانياً، وهو المثل الناريّ، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرعد: ١٧]، وهذا كالحديد[١]، والنحاس، والفضة، والذهب، وغيرها، فإنها تدخل الكِير لِتُمَحَّص وتُخَلَّص من الخَبَث، فيخرج خَبَثُها فيُرْمَى به ويُطْرَح، ويبقى خالصها، فهو الذي ينفع الناس.

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حُكْمَ من استجاب له ورفع بهداه رأساً، وَحُكْمَ من لم يستجب له، ولم يرفع بهداه[٢] رأساً: فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٨].

والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور، والموت حيث الظلمة، فحياة الوجودَيْن الروحيِّ والجسميِّ بالنور، وهو مادة الحياة، كما أنّه مادة الإضاءة، فلا حياة بدونه، كما لا إضاءة بدونه، وكما أنه به حياة القلب، فَبِه[٣] انفساحه وانشراحه وَسَعَتُه، كما في الترمذيّ[٤] عن

---

(١) (م): «وهو الحديد».

(٢) (ت): «بهذا»، وفي (م): «به».

(٣) (ح) و(ق): «فيه».

(٤) لم أقف عليه في «جامع» أبي عيسى الترمذي ـ المطبوع ـ، ولا رأيتُ من عزاه إليه إلاّ المصنّف في «زاد المعاد» (٢/ ٢٤)، وقد ذكره الحكيم الترمذي =

النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخل النُّور القَلْبَ انْفَسَح وانْشَرَح**» قالوا: وما علامة ذلك؟ قال: «**الإنابةُ إلى دارِ الخُلود، والتَّجافي عن دار الغُرور، والاستعدادُ للموت قَبْلَ نُزُوله**»(١).

ونورُ العبد هو الذي يُصْعِدُ عَمَلَه وكَلِمَهُ إلى الله تعالى، فإن الله تعالى لا يَصْعد إليه من الكلم إلا الطَّيِّب ـ وهو نورٌ، ومصدرُه عن النور ـ، ولا من العمل إلا الصالح، ولا من الأرواح إلا الطَّيِّبة، وهي أرواح المؤمنين

= في «نوادر الأصول» (١/ ٤٢٥).

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٠٦)، ووكيع في «الزهد» (١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩)، وعبدالرزاق في «التفسير» (١/ ٢١٧ ـ ٢١٨)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٥/ ٨٦ ـ ٨٨)، والطبري في «التفسير» (١٢/ ١٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١١) وغيرهم.

وفي إسناده اختلاف، قال الدارقطني في «العلل» (٥/ ١٨٩ ـ ١٩٠) بعد أن ذكر بعض أوجه الخلاف فيه:

«وكلها وهم، والصواب: عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبدالله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ، كذلك قاله الثوري، وعبدالله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالبٍ هذا متروك».

وذكره ابن رجب في «شرح العلل» (٢/ ٧٧٢ ـ ٧٧٣) مرسلاً، ثم قال: «فهذا هو أصل الحديث، ثم وصله قوم وجعلوا له إسناداً موصولاً، مع اختلافهم فيه».

ثمّ ساق كلام الدارقطني في تعليل الحديث، وتعقّبه بأنّ الصحيح عن وكيع روايته الحديث مرسلاً كما رواه الثوريّ.

ولم يُصِب الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ حين عدّ هذا الاختلاف طُرقاً للحديث، يتقوّى بها، فقال في «تفسيره» (٣/ ١٣٦٢):

«فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتّصلة يشدّ بعضها بعضاً».

التي استنارت بالنور الذي أنزله على رسوله ﷺ[1]، والملائكةُ الذين خلقوا من نور، كما في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**خُلِقَت الملائكة مِنْ نُورٍ، وخُلِقَتِ الشَّياطينُ مِنْ نارٍ، وخُلِق آدمُ مِمَّا وُصِفَ لكم**»[2].

فلما كانت مادة الملائكة من نورٍ كانوا هم الذين يَعْرُجُون إلى ربهم تبارك وتعالى، وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلى ربها وَقْتَ قبضِ الملائكة لها، فيُفْتَح لها باب السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، إلى أن يُنْتَهَى بها إلى السماء السابعة، فتُوقَفُ بين يدي الله عز وجل، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل عِلِّيِّين[3].

فلما كانت هذه الروح روحاً زاكية طيبة نيِّرة مشرقة صعدت إلى الله عز وجل مع الملائكة.

وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة فإنها لا تفتح لها أبواب السماء، ولا تصعد إلى الله تعالى، بل تُرَدُّ من السماء الدنيا إلى عالَمها وعُنْصُرِها؛ لأنها أرضية سُفْلِيّة، والأولى عُلْوِيّة سماوية، فرجعت كل روح إلى عنصرها وماهي منه، وهذا مُبَيَّنٌ في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه الإمام أحمد، وأبو عوانة الإسفراييني في «صحيحه»، والحاكم،

---

(١) من قوله «أرواح المؤمنين» إلى هنا، ساقط من (ت) و(ق).
(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٩٦).
(٣) (م): «في عليين»، وفي (ق): «من أهل عليين».

وغيرهم، وهو حديث صحيح[1].

---

(١) أخرج حديث البراء أبو داود (٤٧٢٠)، وأحمد (٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٠)، والطيالسي (٢/ ١١٤ ـ ١١٩)، والحاكم (١/ ٣٧) وغيرهم من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء به.

وقد أُعِل هذا الحديث بعلل:

الأولى: أنّ زاذان لم يسمعه من البراء.

قاله ابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٣٨٧ ـ الإحسان).

وأجاب عن هذه العلة شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٣٨) بأنّ أباعوانة قد رواه في «صحيحه» («إتحاف المهرة»: ٢/ ٤٥٩) بطوله، [وأبا داود في «السنن» (٤٧٢١)] وفي روايتهما: «عن زاذان، سمعت البراء».

كما نَقَل عن ابن منده قوله: «هذا الحديث إسناده متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء».

وأجاب ابن القيّم (المصنّف) في «تهذيب سنن أبي داود» (١٣/ ٦٥) بأنّ عديّ بن ثابت قد رواه عن البراء متابعاً زاذان، أخرجه ابن منده.

الثانية: أنّ المنهال قد تفرّد به عن زاذان، وهو لا يحتمل التفرّد بمثل هذا المتن.

قال ابن عديّ في «الكامل» (٦/ ٣٣١) في آخر ترجمة «المنهال»:

«والمنهال بن عمرو هو صاحب حديث الفتن (كذا، ولعلّها: الفتّان، كما في «الميزان») الطويل، رواه عن زاذان عن البراء، ورواه عن منهال جماعة».

وأخرجه الدارقطني في «الأفراد والغرائب» (٢/ ٢٨٨ ـ ترتيبه لابن طاهر)، ويظهر من سياقه لطرقه تفرّد المنهال به عن زاذان.

وأجاب عن هذه العلّة، ودفع تفرّد المنهال بالحديث شيخُ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٣٩)، ونَقَل عن أبي نعيم الأصبهاني وأبي عبدالله بن منده ما يدلّ على ذلك.

الثالثة: أنّ بين الأعمش وبين المنهال في هذا الحديث: الحسن بن عمارة، وهو متروك.

قال ابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٣٨٧ ـ الإحسان): =

= «خبر الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء: سمعه الأعمش عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو، وزاذان لم يسمعه من البراء؛ فلذلك لم أخرجه».

وأجاب عن هذه العلّة المصنّف في «تهذيب سنن أبي داود» (١٣/ ٦٥ ـ ٦٦) بأنه قد رواه عن المنهال جماعة غير الأعمش، كما قال ابن عديّ، فلا يضرّ ـ حينئذ ـ دخولُ الحسنِ بن عمارة في هذه الطريق الحديثَ شيئاً.

الرابعة: ضعفُ المنهال بن عمرو.

قال أبو محمد بن حزم في «المحلى» (١/ ٢٢)، و«الفِصَل» (٤/ ١١٩):

«ولم يَرْوِ أحد أنّ في عذاب القبر رد الرّوح إلى الجسد إلاّ المنهال بن عمرو، وليس بالقويّ».

وأجاب عن هذه العلّة وردّ تضعيف المنهال شيخُ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٤٧)، والمصنف بأوسع منه في «الرّوح» (٢٢٠)، و«تهذيب السنن» (١٣/ ٦٤).

وسبق دفع تفرّده بالحديث.

الخامسة: نكارة وغرابة بعض ألفاظه.

قال الذهبيُّ في «السير» (٥/ ١٨٤) في ترجمة «المنهال»:

«قلتُ: حديثه في شأن القبر بطولِه فيه نكارة وغرابة، يرويه عن زاذان عن البراء».

وقد بيّن شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٥/ ٤٤٦ ـ ٤٥١)، والمصنّف في «تهذيب السنن» (١٣/ ٦٥ ـ ٦٦) أنّ ما تضمّنه حديث البراء هذا قد دلّت عليه الأحاديث الصحيحة الأخرى.

وصحّح الحديثَ البيهقيُّ في «إثبات عذاب القبر» (٣٧)، والحاكم.

وقال أبو نعيم ـ فيما نقله عنه شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٥/ ٤٣٩) ـ:

«وهو حديث أجمع رواة الأثر على شهرته واستفاضته».

والمقصود: أن الله عز وجل لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نوراً، وأعظمُ الخلق نوراً أقربهم إليه، وأكرمُهم عليه.

وفي «المسند» من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله تعالى خَلَقَ خَلْقَه في ظُلْمَةٍ، وَألْقى عليهم مِنْ نُورِه، فمن أصابَ من ذلك النُّورِ اهْتدَى، ومن أخْطَأه ضَلّ**»؛ فلذلك أقول: جَفَّ القلمُ على عِلْمِ الله تعالى[1].

وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان، وينفتح به باب

= وقال أبو موسى الأصبهاني ـ فيما نقله عنه المصنِّف في «تهذيب السنن» (١٣/ ٦٥) ـ: «هذا حديث حسنٌ مشهور بالمنهال».

وسبق ذكر عبارة ابن منده.

وانتصر لتصحيحه شيخ الإسلام في «الفتاوى»، والمصنِّف في كتبه: «الروح» (٢١٩ ـ ٢٢١)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (١١٢)، و«تهذيب سنن أبي داود» (٩/ ٢٣)، (١٣/ ٦٣ ـ ٦٩).

وقال الذهبيُّ في «العلو» (١١٧): «إسناده صالح»، وتقدّمت له عبارة أخرى.

(١) «المسند» (٢/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥).

وأخرجه ـ أيضاً ـ الترمذيُّ (٢٦٤٢)، والحاكم (١/ ٣٠ ـ ٣١) وغيرهما.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وصحّحه ابن حبان (٦١٦٩)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح، قد تداولتْه الأئمة، وقد احتجّا بجميع رُواته، ثم لم يخرجاه، ولا أعلم له علّة». ولم يتعقبه الذهبي.

وقولُه: «فلذلك أقول: جفّ القلم...» هذا من قول عبدالله بن عمروٍ رضي الله عنهما، راوي الحديث، كما هو مبيَّن في المصادر السابقة.

عظيم من أبواب سر القدر وحكمته، والله تعالى الموفق.

وهذا النور الذي ألقاه عليهم سبحانه وتعالى، هو الذي أحياهم وهداهم، فأصابت الفطرة منه حَظَّها، ولكنْ لمّا لم يستقلَّ بتمامه وكماله أكمله لهم، وأتمه بالوحي[1] الذي ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام، والنورِ الذي أوحاه إليهم، فأدركَتْهُ الفطرة بذلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور، فانضاف نور الوحي والنُّبوَّةِ إلى نور الفطرة، نورٌ على نورٌ، فأشرقت منه القلوب، واستنارت به الوجوه، وحَيِيَتْ به الأرواح، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعاً واختياراً، فازدادت به القلوب حياةً إلى حياتها.

ثم دلها ذلك النور على نورٍ آخر هو أعظم منه وأجلُّ، وهو نور الصفات العليا الذي يَضْمَحِلُّ فيه كلُّ نورٍ سواه، فشاهدَتْهُ ببصائر الإيمان[2] مشاهدةً نِسْبَتُها إلى القلب نِسْبَة المرئيّات إلى العَيْن؛ وذلك لاستيلاء اليقين عليها، وانكشاف حقائق الإيمان لها، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى بارزاً، وإلى استوائه عليه[3]، كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه، وكما أخبر به عنه رسول الله ﷺ، يدبِّر أمر الممالك، ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويُحْيِي، ويقضي

---

(١) (ح) (ق): «بالرُّوح».

(٢) (ت): «فشاهد به بصائر الإيمان».

(٣) «وإلى استوائه عليه» ساقط من (ت).

وينفِّذ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويقلِّب الليل والنهار، ويُدَاوِلُ الأيام بين الناس، ويُقَلِّبُ الدُّوَل، فيذهب بدولة، ويأتي بأخرى.

والرسلُ من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعدٍ إليه بالأمر، ونازلٍ من عنده به، وأوامرُه ومراسيمه متعاقبةٌ على تعاقب الأوقات[1]، نافذةٌ بحسب إرادته ومشيئته، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تَقَدُّم ولا تأخُّر، وأمرُه وسلطانُه نافِذٌ في السموات والأرض وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار[2] والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذَرَّاتِه، يُقَلِّبها ويُصَرِّفها، ويُحْدِث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيءٍ علماً، وأحصى كل شيءٍ عدداً، ووسع كل شيءٍ رحمةً وحكمة، ووسع سَمْعُهُ الأصوات، فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه، بل يسمع ضجيجَها باختلاف لغاتها على تَفَنُّنِ حاجاتها، فلا يَشْغَلُه سَمْعٌ عن سَمْع، ولا تُغْلِطُه كثرة المسائل، ولا يتَبَرَّمُ بإلحاح المُلِحِّين ذوي الحاجات[3].

وأحاط بصرُه بجميع المرئيات، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصَّمَّاء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر؛ فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد،

---

(١) (ت): «الآنات»، وفي (ح) و(ق): «الآيات».
(٢) (ت) و(م): «البحر».
(٣) «ذوي الحاجات» من (ح) و(ق).

وخطر بقلبه، ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه: مالم يخطر بقلبه بَعْدُ، فَيَعْلَمُ[1] أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا.

وله الخلق والأمر، وله الملك وله الحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، وله الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، وَسَعَتْ نعمته إلى كل حيّ.

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٩]: يغفر ذنباً، ويفرِّج همَّاً، ويكشف كرباً، ويَجْبُر كسيراً، ويُغني فقيراً، ويُعَلِّمُ جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويُرشِدُ حَيْراناً، ويُغِيثُ لَهْفَاناً، ويَفُكُّ عانياً، ويُشبع جائِعاً، ويَكْسُو عارياً، ويشفي مريضاً، ويُعافي مبتلىً، ويَقْبَلُ تائباً، ويَجْزي مُحْسِناً، وينصر مظلوماً، ويَقْصِم جبّاراً، ويُقِيلُ عَثْرَةً، ويستر عورةً، ويُؤَمِّن رَوْعةً، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين.

لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرْفَع إليه عمل الليل قبل عمل النهار[2]، وعملُ النهار قبل عمل الليل[3]، حجابُه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

يمينُه مَلأى، لا تَغِيضُها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق

---

(١) «فيعلم» ساقطة من (ت) و(م) و(ق).
(٢) (م) و(ق): «قبل النهار».
(٣) (م) و(ح) و(ق): «قبل الليل».

منذ خلق الخلق، فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه.

قلوبُ العباد ونواصيهم بيده، وأزمَّة الأمور[1] معقودة بقضائه وقدره، الأرضُ جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، يقبض سمواته كلها بيدِهِ[2]، والأرض باليد الأخرى، ثم يَهُزُّهن، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئاً، وأنا الذي أعيدها كما بَدَأْتُها.

لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا حاجةٌ يُسْأَلُها أن يعطيها.

لو أن أهل سمواته، وأهل أرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنْسهم وجِنَّهم، كانوا على أتقى قلب رجل منهم، مازاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن أول خلقه وآخرهم، وإنْسهم وجِنَّهم، كانوا على أفجر قلبِ رجل منهم، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، ولو أن أهل سمواته، وأهل أرضه، وإنْسهم وجِنَّهم، وحَيَّهُمْ ومَيِّتهم، كانوا على أفجر قلبِ رجل منهم، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، ولو أن أهل سمواته، وأهل أرضه، وإنْسهم وجِنَّهم، وحَيَّهُمْ ومَيِّتهم، ورطبهم ويابسهم، قاموا في صعيد واحد، فسألوه فأعطى كلاًّ منهم مسألته[3]، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.

ولو أن أشجار الأرض كلَّها[4] ـ من حين وُجِدت إلى أن تنقضي

---

(١) (ت) و(م): «وأزمّة العباد».
(٢) (ح): «بيده الكريمة».
(٣) (ح) و(ق): «ما سأله».
(٤) «كلها» من (ح) و(ق).

الدنيا ـ أقلامٌ، والبحر وراءه سبعة أبحر تمدُّه من بعده مِدادٌ، فكُتِبَ بتلك الأقلام وذلك المداد، لفنيت الأقلام ونفد المداد، ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالى[1].

وكيف تَفْنَى كلماتُه جَلَّ جلاله وهي لا بداية لها ولا نهاية؟! والمخلوق له بداية ونهاية، فهو أحق بالفناء والنَّفاد، وكيف يُفْنِي المخلوقُ غيرَ المخلوق؟!

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.

تبارك وتعالى، أحقُّ من ذُكِر، وأحقُّ من عُبِد، وأحقُّ من حُمِد، وأولى من شُكِر، وأنصَرُ من ابْتُغِي، وأرأفُ من مَلَك، وأجودُ من سُئِل، وأعْفَى من قَدِر، وأكرم من قُصِد، وأعدل من انْتَقَم.

حكمُه بعد علمه، وعفوُه بعد قدرته، ومغفرتُه عن عِزَّته، ومَنْعُه عن حِكمته، وموالاتُه عن إحسانه ورحمته.

مـا لِلْعِبَـادِ عَلَيْـهِ حَـقٌّ واجِـبٌ كَـلاَّ ولا سَعْـيٌ لَـدَيْـهِ ضـائِـعُ
إنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِـهِ، أوْ نُعِّمُـوا فَبِفَضْلِهِ، وهو الكريمُ الواسِعُ[2]

---

(١) (ت) و(م): «كلماته سبحانه»، وفي (ق): «كلماته تبارك وتعالى».

(٢) البيتان ذكرهما المصنّف رحمه الله في كتبه:
«مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٩)، و«أقسام القرآن» (١/ ١٢٣)، و«بدائع الفوائد» (٢/ ٣٩٠)، و«طريق الهجرتين» (٤٧٠). =

هو الملك الذي لا شريك له، والفرد فلا نِدُّ له[1]، والغنيُّ فلا ظهير له[2]، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة له، والعليُّ فلا شبيه له، ولا سَمِيَّ له، كلُّ شيء هالك إلا وجهه، وكلُّ مُلْكٍ زائل إلا ملكه، وكل ظِلٍّ قَالِصٌ إلا ظِلَّه، وكل فضل منقطع إلا فضله.

لن يُطاع إلا بفضله[3] ورحمته، ولن يُعصى إلا بعلمه وحكمته، يُطاع فيَشْكُر، ويُعْصَى فيتجاوز وَيَغْفِر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حالَ دون النفوس، وأخذ بالنواصي، ونَسَخ الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مُفْضِيَةٌ، والسر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، عطاؤه كلام، وعذابه كلام، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات اضْمَحَلَّ عندها كل نور، ووراء هذا مالا يخطر بالبال، ولا تناله عبارة.

والمقصود: أن الذكر يُنَوِّر القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه، وفي البرزخ، وفي يوم القيامة.

= ولم أقف عليهما عند أحدٍ قبله.

(١) (ت) و(م): «الذي لانِدّ له».

(٢) (ت) و(م): «نظير له».

(٣) (ح) و(ق): «بإذنه».

فصل

وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد تَخْرُجُ أعماله وأقواله ولها نورٌ وبرهان، حتى إن من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعدت إلى الله تبارك وتعالى كَنُورِ الشمس، وهكذا نور روحه إذا قَدِم بها على الله عز وجل، وهكذا يكون نورهُ السّاعي بين يديه على الصراط، وهكذا يكون نور وجهه في يومِ القيامة، والله تعالى المستعان وعليه التكلان.

السابعة والثلاثون: أن الذكر رأس الأمور، وطريقُ عامَّةِ الطائفة، ومَنْشُور الوَلاية، فمن فُتِح له فيه فقد فُتِح له باب الدخول على الله عز وجل، فَلْيَتَطَهَّرْ، وَلْيَدْخُل على ربه عز وجل يَجِدْ عنده كل ما يريد، فإن وجد ربه عز وجل وَجَد كلَّ شيء، وإن فاته ربه عز وجل فاته كلُّ شيء.

الثامنة والثلاثون: أن في القلب خَلَّةً وفاقةً لا يَسُدُّها شيءٌ ألبته إلا ذكر الله عز وجل، فإذا صار الذكر شِعار القلب، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تَبَعٌ له، فهذا هو الذكر الذي يَسُدُّ الخَلَّة، ويُغْنِي الفاقة، فيكون صاحبه غنيّاً بلا مال، عزيزاً بلا عشيرة، مَهيباً بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك، فقير مع كثرة جِدَّتَه، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

التاسعة والثلاثون: أن الذكر يجمع المتفرِّق، ويفرِّق المُجْتَمِع، ويقرِّب البعيد، ويُبَعِّد القريب؛ فيجمع ما تفرَّق على العبد من قلبه وإرادته،

وهُمومه وعُزُومه، والعذابُ كل العذاب في تَفْرِقَتِها[1] وتشتُّتها عليه، وانفراطها له، والحياةُ كل الحياةِ[2] والنَعيمُ في اجتماع قلبه وهمِّه، وعزمه وإرادته.

ويُفَرِّق ما اجتمع عليه من الهموم، والغموم، والأحزان، والحسراتِ على فَوْتِ حُظُوظه ومطالبه.

ويُفَرِّقُ أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره، حتى تتساقط عنه وتتلاشىٰ وتَضْمَحِلّ.

ويفرِّق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان؛ فإن إبليس لا يزال يبعث له سَريّة بعد سَرِيَّة، وكلما كان أقوى طلباً لله سبحانه وتعالى، وأشدَّ تَعَلُّقاً به وإرادةً له كانت السَّرِيَّةُ أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مَوادِّ الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر.

وأما تقريبه البعيد؛ فإنه يقرِّب إليه الآخرة التي يُبَعِّدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال يَلْهَجُ بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تَصْغُر في عينه الدنيا، وتَعْظُم في قلبه الآخرة.

ويُبَعِّدُ القريب إليه، وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة، فإن

---

(١) (ت) و(م): «تفريقها».

(٢) «كل الحياة» من (م) فقط.

الآخرة متى قَرُبَتْ من قلبه بَعُدَتْ عنه الدنيا، كلما قَرُبَ من هذه مرحلة بَعُد من هذه مرحلة. ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر، والله المستعان.

الأربعون: أن الذكر يُنَبِّه القلب من نومه، ويُوقِظُه من سِنَته، والقلب إذا كان نائماً فاتَتْهُ الأرباح والمتاجِر، وكان الغالبُ عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم مافاته في نَوْمَتِه شَدَّ المِئْزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاته، ولا تَحْصُلُ يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نومٌ ثقيل.

الحادية والأربعون: أن الذكر شجرةٌ تُثْمِر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها، فالذكر يثمر المقامات كلَّها، مِنَ اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام، وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها، كما يُبْنَى الحائط على أُسِّه، وكما يقوم السقف على حائطه، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يُمْكِنْه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم، فالغفلة نومُ القلب أو موتُه.

الثانية والأربعون: أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكورُه معه، وهذه المعية مَعِيَّةٌ خاصةٌ غيرُ مَعِيّةِ العلم والإحاطة العامة، فهي مَعِيَّةٌ بالقُرْب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر، كما في الحديث الإلهي: «**أنا مع عبدي ما ذَكَرَني وتَحَرَّكَتْ بي شَفَتَاهُ**»[1].

وفي أثرٍ آخر: «**أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أُقَنِّطُهُمْ من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، فإني أُحِبُّ التوابين، وأُحِبُّ المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب**»[2].

---

(١) علّقه البخاري في «صحيحه» (١٣/ ٥٠٨ ـ الفتح)، ووصله في «خلق أفعال العباد» (٤٣٦)، وكذا ابنُ ماجه (٣٧٩٢)، وأحمد (٣/ ٨٢٠ ـ ٨٢١)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٩٣) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحّحه ابن حبان (٨١٥)، والحاكم (١/ ٤٩٦) ولم يتعقبه الذهبي.

وانظر: «علل الدارقطني» (٩/ ٥٠ ـ ٥١)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، و«تهذيب الكمال» (٣٥/ ٢٩٢)، و«تغليق التعليق» (٥/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤).

(٢) لم أقف عليه مُسنَداً.

ونقل ابن عبدالهادي في «العقود الدُّريّة» (٣٤٣) عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «يقول الله تعالى في بعض الكتب: . . .» فذكره، فكأنه يريد كتب أهل الكتاب، فهو على هذا من الإسرائيليات.

وانظر: «منهاج السنة» (٦/ ٢١٠)، و«رسالة في تحقيق الشكر» (١/ ١١٦ ـ جامع الرسائل)، و«التحفة العراقية» (١٠/ ٨٦ ـ مجموع الفتاوى)، و«الحسنة والسيئة» (١٤/ ٣١٩ ـ مجموع الفتاوى).

وذكره المصنف في «مدارج السالكين» (٢/ ٢٥٦)، و«حادي الأرواح» (٢٦٥).

والمعيةُ الحاصلة للذاكر معيَّةٌ لا يشبهها شيء، وهي أخص من المعية الحاصلة للمُحْسِن والمُتَّقِي، وهي معية لا تدركها العبارة، ولا تنالها الصفة، وإنما تُعْلَم بالذَّوْق[1]، وهي مزلّة أقدامٍ إن لم يَصْحَب العبدَ فيها تمييزٌ بين القديم والمُحْدَث، وبين الرب والعبد، وبين الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود، وإلا وقع في حُلُولٍ يضاهي به النصارى، أو اتحادٍ يضاهي به القائلين بوحدة الوجود، وأن وجود الرب عين وجود هذه الموجودات، بل ليس عندهم ربٌّ وعَبْدٌ، ولا خَلْقٌ وحَقّ، بل الرب هو العبد، والعبد هوالرب، والخلق المُشَبَّه هو الحَقُّ المُنَزَّه[2]، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.

والمقصود: أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة، وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر، وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه؛ وَلَج باب الحُلول والاتحاد ولابُدّ.

الثالثة والأربعون: أن الذكر يَعْدِلُ عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل، ويَعْدِلُ الضرب بالسيف في

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين» (٤٧٩ ـ ٤٨٠)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٩١ ـ ٩٦، ٤٤٢).

(٢) هذه عبارة ابن عربي في «الفصوص» (١/ ٧٨).
وانظر: «بغية المرتاد» (٤٠٥)، و«الجواب الصحيح» (٤/ ٣٠٠)، و«مجموع الفتاوى» (٢/ ١١٢ ـ ١١٣، ١٢١ ـ ١٢٢)، و«الصواعق المرسلة» (٣/ ٩٣١ ـ ٩٣٢).

سبيل الله عز وجل[1].

وقد تقدم أن «**من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كانت له عدل عشر رقاب، وكُتِبَتْ له مائة حسنة، ومُحِيَتْ عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي**...» الحديث[2].

وذكر ابن أبي الدنيا عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: إن رجلاً أعتق مائة نسمة. قال: «إن مائة نَسَمةٍ من مال رجلٍ كثيرٌ، وأفضلُ من ذلك إيمان مَلْزُومٌ بالليل والنهار، وأنْ لا يزال لسان أحدكم رطباً من ذكر الله عز وجل»[3].

وقال ابن مسعود: «لأَنْ أُسَبِّح اللهَ تعالى تسبيحاتٍ أحبُّ إليَّ من أن أنفق عَدَدَهُن دنانير في سبيل الله عز وجل»[4].

---

(١) «ويعدل الضرب في سبيل الله عز وجل» زيادة من (ح) و(ق).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ١٠٢).

(٣) أخرجه محمد بن فضيل الضبي في «الدعاء» (٢٦٨)، وأحمد في «الزهد» (١٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٣٠٤)، و(١٣/ ٤٥٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٥٣٠) وغيرهم، وفي إسناده انقطاع.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٦٧): «رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسنادٍ حسن».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٢٩١)، والحسين المروزي في زوائده على «الزهد لابن المبارك» (٤٠٥) ـ وفي المطبوعة تحريف يُصحَّح من رواية «المصنَّف» ـ، بإسناد جيّد.

وأخرجه البيهقيُّ في «الشعب» (٢/ ٥٦٧)، وفي إسناده انقطاع.

وجلس عبدالله بن عمرو، وعبدالله بن مسعود، فقال عبدالله بن مسعود: «لأَنْ آخذ في طريقٍ أقولُ فيه: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحبُّ إليَّ من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل»؛ فقال عبدالله بن عمرو: «لأَن آخذ في طريقٍ، فأقولهن أحبُّ إليَّ من أن أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عز وجل»[1].

وقد تقدَّم حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مَلِيكِكُمُ، وأرفعِها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الوَرِقِ والذهب، وخيرٍ لكم من أن تَلقَوْا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذكر الله**» رواه ابن ماجه والترمذي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[2].

الرابعة والأربعون: أن الذكر رأس الشكر، فما شَكَر الله تعالى من لم يذكره.

وذكر البيهقيُّ عن زيد بن أسلم، أن موسى عليه السلام قال: «يارب، قد أنْعَمْتَ عليَّ كثيراً فَدُلَّني على أن أشكرك كثيراً» قال: «اذكرني

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨) وفي إسناده من لم أعرفه.
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٢٩٢) مقتصراً على قول عبدالله بن عمرٍو رضي الله عنهما بإسناد حسن.
وقولُه في آخر الأثر «في سبيل الله عز وجل» ساقط من (ت) و(م)، وهو ثابت في رواية البيهقي و(ح).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٨٤)، حيث أورده المصنّف من رواية معاذٍ رضي الله عنه.

كثيراً؛ فإذا ذكرتني كثيراً فقد شكرتني كثيراً، وإذا نسيتني فقد كفرتني»[1].

وقد ذكر البيهقي ـ أيضاً ـ في كتاب[2] «شعب الإيمان» عن عبدالله بن سلام قال: قال موسى عليه السلام: يارب، ما الشكر الذي ينبغي لك؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لايزال لسانك رطباً من ذكري. قال: يا رب إني أكون على حالٍ أُجِلُّك أن أذكرك فيها. قال: وماهي؟ قال: أكون جنباً، أو على الغائط، وإذا بُلْتُ. فقال: وإن كان. قال: يا رب، فما أقول؟ قال: تقول: «سبحانك وبحمدك، وجنبني الأذى، وسبحانك وبحمدك، فقني الأذى»[3].

قلتُ: قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه»[4]. ولم تستثن حالة من حالة، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته.

---

(١) «شعب الإيمان» (٢/ ٥٧٤)، و(٨/ ٣٦٨).
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٣/ ٢١٢) بنحوه، وابنُ المبارك في «الزهد» (٣٣٠) مختصراً، ومن طريقه ابن أبي الدّنيا في «الشكر» (١٨ برقم ٣٩).

(٢) «كتاب» من (م) فقط، و«أيضاً» من (ح) و(ق).

(٣) «شعب الإيمان» (٢/ ٥٩١).

(٤) أخرجه مسلم (٣٧٣).
وصححه البخاري، كما في «العلل الكبير» للترمذي (٣٦٠ ـ ترتيبه).
وأعلّه أبو زرعة الرازي كما في «العلل» لابن أبي حاتم (١/ ٥١).
وانظر: «علل الدارقطني» (٥/ ق٥٠/ ب).

وأما في حال التخلِّي، فلم يكن يشاهده أحد يَحْكِي عنه، ولكنْ شَرَع لأمته من الأذكار قبل التخلِّي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر، وأنه لا يُخَلُّ به عند قضاء الحاجة وبعدها، وكذلك شرع لأمته من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: «بِسْم الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطانَ، وجَنِّب الشَّيطان مارَزَقْتنا»[1].

وأما الذكر على[2] نفس قضاء الحاجة، وجِماع الأهل فلا ريب أنه لا يُكْرَه بالقلب؛ لأنه لابُدَّ لقلبه مِنْ ذِكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحبُّ شيءٍ إليه، فلو كُلِّف القلبُ نسيانَه لكان تكليفاً بالمحال، كما قال القائل:

يُـرَادُ مـن القَلْـب نِسيـانُكُـم وتَـأبَـى الطِّبـاعُ عَلـى النَـاقِـل[3]

وأمَّا[4] الذكر باللسان على هذه الحالة، فليس ممَّا شرَعَ لنا، ولا نَدَبَنا إليه رسولُ الله ﷺ، ولا نُقِل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم[5].

---

(١) سيأتي تخريجه (ص: ٣٥٠).

(٢) (ح): «وأمّا عند نفس».

(٣) البيت للمتنبي، في «ديوانه» (٢/ ٢٦ ـ العَرْف الطيّب).

(٤) (ح): «فأمّا».

(٥) ذهب بعض أهل العلم إلى جواز الذكر باللسان في هذه الحالة.
قال أبو حاتم الرازي عقب حديث عائشة: «كان يذكر الله على كل أحيانه» ـ كما في «العلل» لابنه (١/ ٥١) ـ: =

وقال عبدالله بن أبي الهذيل: «إن الله تعالى ليُحِبُّ أن يُذكَرَ في السُّوقِ، ويحبُّ أن يذكرَ على كُلِّ حالٍ، إلاَّ على الخَلاءِ»[1].

ويكفي في هذه الحال استشعارُ الحياء، والمراقبة، والنِّعمةِ عليه في هذه الحالة، وهي من أجلِّ الذكر، فذِكْرُ كلِّ حالٍ بحسب ما يليق بها، واللائقُ بهذه الحال التَّقَنُّعُ بثوب الحياء من الله تعالى، وإجلالُه، وذِكرُ نعمته عليه، وإحسانِه إليه في إخراج هذا العَدُوِّ المؤذي له الذي لو بقي فيه لقتله، فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذِّي به.

وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه، وقال: يالَها نِعْمَة لو يعلمُ النَّاسُ قدرَها![2].

وكان بعض السلف يقول: الحمد لله الذي أذاقني لَذَّتَه، وأبقى فِيَّ منفعته، وأذهب عني مَضَرَّتَه[3].

= «الذي أرى أن يُذكَر الله على كلّ حال، على الكنيف وغيره، على هذا الحديث».

وانظر: «مستخرج أبي عوانة» (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، و«البيان والتحصيل» لابن رشد (٢/ ١٠٠ ـ ١٠١)، و«تفسير القرطبي» (٤/ ٣١١).

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٥٩)، وأخرج البيهقيُّ في «الشعب» (٢/ ٤٦٢) بعضه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) بإسنادٍ ضعيف جداً.

(٣) أخرجه الطبراني في «الدّعاء» (٢/ ٩٦٧) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً بإسنادٍ فيه ضعفٌ وانقطاع، كما قال ابن حجر في «نتائج =

وكذلك ذِكْرُه حال الجماع، ذَكَر هذه النعمة التي مَنَّ بها عليه، وهي من أجلِّ نعم الدنيا، فإذا ذَكَر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر، فالذكر رأس الشكر.

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «**والله يا معاذ إني لأُحِبُّك، فلا تَنْس أن تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ: «اللَّهُمَ أعِنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبادَتِكَ»**»[1].

فجمع بين الذِّكرِ والشُّكْر، كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢]، فالذكر والشكر جِماعُ السعادة والفلاح.

الخامسة والأربعون: أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين مَنْ لا يزال لسانه رَطْباً بذكره، فإنه اتقاه في أمره ونهيه، وجَعَل ذكره شعاره.

فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا هو الثواب

= الأفكار» (١/ ٢١٩).

وأخرجه العقيليُّ في «الضعفاء» (١/ ٢١٣ ـ ٢١٤)، والبيهقي في «الشعب» (٨/ ٣٩٩) وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «أن نوحاً عليه السلام لم يقم عن خلاءٍ قطّ إلا قال: . . .» فذكره، وإسناده ضعيف.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ٢) عن إبراهيم التيمي «أنّ نوحاً. . .»، وهو أشبه.

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٧)، والنسائي (١٣٠٢)، وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٩)، وأحمد (٧/ ٣٨٠) وغيرهم.

وصححه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، والحاكم (١/ ٢٧٣) على شرط الشيخين، ولم يتعقبه الذهبي.

والأجر.

والذِّكرُ يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه، وهذه هي المنزلة.

وعُمَّال الآخرة على قسمين: منهم من يعمل على الأجر والثواب، ومنهم من يعمل على المنزلة[1] والدرجة، فهو ينافس غيره الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى، ويسابق إلى القُرْبِ منه.

وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد: ١٨]، فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] فهؤلاء أصحاب المنزلة والقُرْبِ، ثم قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فقيل: هذا عطفٌ على الخبر عن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾، أخبر عنهم بأنهم هم الصّدِّيقون، وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم، ثم أخبر عنهم بخبرٍ آخر، وهو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾؛ فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور:

أنهم صِدِّيقون، وشهداء، فهذه هي المرتبة والمنزلة، ثمّ أخبر عنهم

---

(١) من قوله «وعمّال الأخرة» إلى هنا، ساقط من (ت).

بأنّ لهم أجرهم ونورهم، فهذا هو الثواب والجزاء[1].

وقيل: بل تم[2] الكلام عند قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾، ثم ابتدأ ذِكْرَ حال الشهداء فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[3].

فيكون قد ذكر المتصدقين أهلَ البرِّ والإحسان، ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتلؤوا منه، فهم الصِّدِّيقون، وهم أهل العلم والعمل، والأوَّلُون أهلُ البرِّ والإحسان، ولكنَّ هؤلاء أكملُ صِدِّيقيَّةً منهم.

ثم ذكر سبحانه الشهداء، وأنه تعالى يُجري عليهم رزقهم ونورهم؛ لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أعاضهم عليها أن جعلهم أحياءً عنده يرزقون، فيجري عليهم رزقهم ونورهم، فهؤلاء السعداء.

ثم ذكر الأشقياء فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾ [المائدة: ١٠و٨٦].

والمقصود أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الأجور والمراتب، وهذان الأمران هما اللذان وَعَدَ بهما فرعونُ السحرةَ إنْ غَلَبُوا موسى عليه

---

(١) من قوله «ثمّ أخبر عنهم» إلى هنا، ساقط من (ح).

(٢) (ح) و(م): «وقيل: تم».

(٣) وهذا هو ما مال إليه المصنّفُ وذكر أوجه رُجحانِه في «طريق الهجرتين» (٥١٧ ـ ٥١٨).

الصلاة والسلام، فقالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: ٤١ ـ ٤٢]، أي: أجْمَعُ لكم بين الأجر والمنزلة عندي والقرب مني.

فالعمال عَمِلوا على الأجور، والعارفون عَمِلوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله، وأعمالُ هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء.

وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال: قال موسى عليه السلام:
يا رب، أيُّ خلقك أكرم عليك؟ قال: الذي لا يزال لسانه رطباً بذكري.
قال: يا رب، أيُّ خلقك أعلم؟ قال: الذي يلتمس إلى علمه علم غيره.
قال: يارب، أيُّ خلقك أعدل؟ قال: الذي يقضي على نفسه مثل ما يقضي على الناس. قال: يا رب، أيُّ خلقك أعظم ذنباً؟ قال: الذي يتَّهِمُني. قال: يا رب، وهل يَتَّهِمُك أحد؟ قال: الذي يستخيرني ولا يَرْضَى بقضائي[1].

وذَكَر أيضاً عن ابن عباس قال: لمّا وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال: يارَبِّ، أيُّ عِبادكَ أحَبُّ إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني[2].

---

(١) «شعب الإيمان» (٢/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧).
(٢) «شعب الإيمان» (٢/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦).
وأخرجه بنحوه الطبريُّ في «التفسير» (١٨/ ٦٣)، و«التاريخ» (١/ ٣٧١)، =

وقال كعب: قال موسى عليه السلام: يَارَبِّ، أقريبٌ أنْتَ فَأنَاجِيكَ، أم بعيدٌ فأناديك؟ فقال تعالى: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. قال: إني أكون على حالٍ أُجِلُّك عنها. قال: ما هي يا موسى؟ قال: عند الغائط والجنابة. قال: اذكرني على كل حالٍ[1].

وقال عبيد بن عمير: تسبيحةٌ بحمد الله في صحيفةِ مؤمنٍ خير له من جبال الدنيا تجري معه ذهباً[2].

وقال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: سيعلم أهلُ الجمع مَنْ أولى بالكرم، أين الذين كانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾؟ [السجدة: ١٦]، قال: فيقومون فيَتَخطَّوْنَ رقابَ النَّاسِ.

قال: ثم ينادي منادٍ: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذين كانت ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؟ [النور: ٣٧]، قال: فيقومون، فيتخطَّوْن رقاب الناس.

= والخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» (٣٠).

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (٦٨)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٣/ ٢١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٥٧٥).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٢٧)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٢٩٣)، و(١٣/ ٤٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٢).

قال: ثم ينادي منادٍ: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم[1]، أين الحمَّادون للهِ على كل حال؟، قال: فيقومون وهم كثير، ثم تكون التَّبِعَةُ والحسابُ فيمن بقي[2].

وأتى رجلٌ أبا مسلمٍ الخولاني فقال له: أوصني يا أبا مسلم، قال:

---

(١) من قوله أين الذين كانت لا تلهيهم» إلى هنا، ساقط من (ت).

(٢) أخرجه معمر في «الجامع» (١١/ ٢٩٤ ـ مصنف عبدالرزاق)، ومن طريقه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٢).

ورُوِي مرفوعاً من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

أخرجه هناد في «الزهد» (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٥٧٩ ـ منتخبه)، ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (٣٦ ـ مختصره) من طريق ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى في «مسنده الكبير» (٥/ ١٠٧ ـ المطالب العالية)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٤٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٢٨) وفيه ضعف.

لكنه ينجبر بشاهده الذي أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٩)، والحاكم (٢/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً.

ورُوِي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٠١ ـ ١٠٢ زوائد رواية نعيم بن حماد)، والطبري في «التفسير» (٢٤/ ٤١٧ ـ ٤١٨)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (١١٢٢ ـ زوائده) (ووقع في طبعة الجامعة الإسلامية: «عن ابن عباسٍ رفعه»، وهو خطأ، وصوابه في طبعة السعدني، و«المطالب»، و«الإتحاف»، و«الحلية»)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٢).

وحسّن إسناده ابن حجر في «المطالب العالية» (٥/ ١٠٩)، وتبعه البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٨/ ١٦٢).

اذْكُر الله تعالى تحت كل شجرةٍ ومَدَرَةٍ، فقال: زدني، فقال: اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذِكْر الله تعالى مَجْنُوناً. قال: وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى، فرآه رجل وهو يذكر الله تعالى، فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبو مسلم فقال: ليس هذا بالجنون يا ابن أخي، ولكن هذا دواء الجنون![1].

السادسة والأربعون: أن في القلب قسوةً لا يُذِيبها إلاّ ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

وذَكَر حماد بن زيد، عن المُعَلَّى بن زياد، أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أَذِبْهُ بالذِّكر[2].

وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة[3] اشتدت به القسوة، فإذا ذكر اللهَ تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أُذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل.

السابعة والأربعون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه،

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على «الزهد» (٢٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٨).
وفي رواية عبدالله: «أَذِنه من الذكر. أي: ممّن يذكُر».
وعند البيهقي ـ كما في المطبوعة ـ: «أدِّبْه بالذكر»، وفي رواية «أدِّبْه من الذكر»، وذكر المحقّق أنّ في إحدى النسخ: «أدْنيه».

(٣) (ت): «العلّة»، وفي (ق): «القسوة».

فالقلوب مريضة، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى.

قال مكحول: ذِكْرُ الله تعالى شفاء، وذِكْرُ الناس داء[1].

وذكره البيهقي عن مكحول مرفوعاً ومرسلاً[2].

فإذا ذَكَرَتْهُ شفاها وعافاها، فإذا غفلت عنه انتكست، كما قيل:

إذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بذِكْرِكُمُ فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أحْيَاناً فَنَنْتَكِسُ[3]

الثامنة والأربعون: أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسُها، والغفلة أصل معاداته وأُسُّها[4]، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه ويعاديه.

قال الأوزاعي: قال حسان بن عطية: ما عادى عبدٌ ربَّه بشيءٍ أشدَّ عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره[5].

فهذه المعاداة سببها الغفلة، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره

---

(١) لم أقف عليه. وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٩٣) من قول ابن عونٍ.
قال الذهبيّ في «السّير» (٦/ ٣٦٩) مُعلِّقاً:
«إي والله! فالعجب منّا ومن جهلنا كيف نَدَعُ الدواء، ونقتحم الداء؟!».

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢/ ٥٩٤)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٣٨٩) عن مكحولٍ مرسلاً.
وقال البيهقي: «هذا مرسل، ورُوِي عن عمر بن الخطاب من قوله».

(٣) ذكره المصنّف في «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤٠)، ولعلّه له.

(٤) (ت) و(م): «ورأسُها».

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠).

من يذكره، فحينئذ يتخذُه عدواً كما اتخذ الذَّاكر وَليّاً.

التاسعة والأربعون: أنه ما اسْتُجْلِبَتْ نعم الله عز وجل واسْتُدْفِعَتْ نِقَمُه بمثل ذكر الله تعالى، فالذكر جلَّابٌ للنِّعَم، دفّاعٌ للنِّقَم[1]، قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ عنِ الذين آمنوا**﴾، وفي القراءة الأخرى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدافِعُ﴾[2] [الحج: ٣٨]، فَدَفْعُه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادَّةُ الإيمان وقُوَّتُه بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً، وأكثر ذكراً كان دَفْعُ الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نَقَصَ نَقَصَ، ذِكْراً بِذِكْرٍ، ونِسياناً بنسيانٍ.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

والذِّكْرُ رأس الشكر، كما تقدم، والشكرُ جَلَّابُ النِّعَم، ومُوجِبٌ للمزيد.

قال بعض السلف رحمة الله عليهم: ما أقبح الغفلة عن ذكر مَنْ لا يَغفُلُ عن بِرِّك![3].

---

(١) (ت) و(م): «جلّاب النعم، دفّاع النّقم».

(٢) قرأ ابن كثير وأبوعمرو: «يَدْفَعُ»، وقرأ الباقون: «يُدافِع». انظر: «التبصرة» لمكيّ بن أبي طالب (٦٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (٤٣٧). وقراءةُ أهل الشام ـ ومنهم المصنِّف ـ في ذلك العصر هي قراءة أبي عمرو؛ فلذلك قدَّمها.

(٣) أخرجه أبو عبدالرحمن السلمي في «طبقات الصّوفية» (٣١٧) عن مُمشاذ الدينوري، وعنده: «عن ذِكْرك» بدل قوله «عن بِرّك».
وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٩٢) عن محمد بن عبدالوهاب =

الخمسون: أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر.

ومن صلى اللهُ تعالى عليه وملائكتُه فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣].

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي على الذاكرين له كثيراً، وهذه الصلاة منه ومن ملائكته هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأُخْرِجوا[1] من الظلمات إلى النور فأيُّ خيرٍ لم يحصل لهم بذلك؟! وأيُّ شرٍّ لم يندفع[2] عنهم؟!

فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حُرِمُوا من خيره وفضله!، وبالله التوفيق.

الحادية والخمسون: أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فَلْيَسْتَوْطِن مجالس الذكر؛ فإنها رياضُ الجنة.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبدالله قال: خرجَ علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيُّها النَّاس ارْتَعُوا في رياض الجَنَّة**»، قلنا يا

= البلخي، وعنده: «عن بِرّك»، كما هو مثبت هنا.

(١) (ح): «وإخراجهم».

(٢) (ت) و(م): «يُدْفَع».

رسول الله، وما رِياضُ الجنّة؟ قال: «**مَجَالسُ الذِّكْر**»، ثم قال: «**اغْدُوا ورُوحُوا واذْكُروا، فمَنْ كان يُحِبُّ أنْ يعلم منزلَته عندَ الله تعالى فَلينْظُر كيفَ منزلةُ الله تعالى عنده؛ فإن الله تعالى يُنْزِلُ العبد منه حيث أنزلَهُ من نفسه**»[1].

الثانية والخمسون: أن مجالسَ الذكر مجالسُ الملائكة، فليس مِنْ مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يُذْكَرُ الله تعالى فيه، كما أخرجا في «الصحيحين» من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ للهِ مَلاَئِكَةً فُضُلاً عن كُتَّابِ الناس، يَطُوفُون في الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُون أهْل الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكرون الله تعالى تنادَوْا: هَلُّموا إلى حاجَتِكُم**.

قال: فيَحُفُّونَهُم بأجْنِحَتِهم إلى السَّمَاء الدُّنْيَا، قال: فيسألُهم ربُّهم تعالى ـ وهو أعلم بهم ـ: ما يَقُولُ عِبَادي؟ قال: يقولون: يسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرونَكَ، ويَحْمَدُونَك، ويُمَجِّدُونَكَ.

قال: فيقول: هل رَأوْني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رَأوْك.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١١٠٥ ـ منتخبه)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، و(٤/ ١٠٦)، والحاكم (١/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥) وغيرهم بإسنادٍ فيه ضعف.

وصحّحه الحاكم، فتعقبه الذهبيُّ بقوله: «عمرُ ضعيف»، يريد: عمر بن عبدالله مولى غفرة، وقد أورد ابن حبّان حديثه هذا في ترجمته من «المجروحين» (٢/ ٨١) مستدلاً به على ضعفه.

وحسّنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٨٢)، ولعلّه لشواهده. وانظر ما تقدم (ص: ٨٧).

قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تحميداً وتمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً.

قال: فيقول: ما يسألوني؟ قال: يسألونك الجَنَّةَ.

قال: فيقول: وهل رَأوْها؟ قال: يقولون: لا والله يارَبِّ، ما رَأوْها.

قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوْها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.

قال: فيقول: فمِمَّ يَتَعَوَّذون؟ قال: يقولون: من النار.

قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا ربّ ما رأوها.

قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشَدَّ لها مَخَافَةً.

قال: يقول: فأُشْهِدُكم أني قد غَفَرْتُ لهم.

فيقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنَّما جاء لِحَاجة. قال: هم الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بهم جَلِيسُهمْ»[1].

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٤٨)، و«صحيح مسلم» (٢٦٨٩).

وقوله: «فُضُلاً» تفرّد بها مسلم، ومعناها كما قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٤٥٥): «أيْ: زيادة عن الملائكة المرتَّبين مع الخلائق».

وقوله: «عن كُتّاب الناس» لم أجده في رواية الصحيحين، وقد أشار الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢١٥) إلى أنها زيادة عند ابن أبي الدنيا والطبراني وابن حبان.

والمراد بـ«كُتّاب الناس»: الملائكة الكرام الكاتبون، وغيرُهم، المرتَّبون =

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، فهكذا المؤمن مبارك أين حَلَّ، والفاجر مشؤوم أين حَلّ.

فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكلٌّ مضافٌ إلى شكله وأشباهه، وكلُّ امرىء يَصْبُو[1] إلى ما يناسبه.

الثالثة والخمسون: أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكتَه، كما روى مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاويةُ على حَلْقَةٍ في المسجد، فقال: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جلسْنَا نَذْكُر الله تعالى. قال: آللهِ ما أَجْلَسكُم إلاَّ ذاك؟ قالوا: والله ما أَجْلَسَنا إلاَّ ذاك.

قال: أما إنّي لم أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لكم، وما كان أَحَدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثاً مني، وإنَّ رسول الله ﷺ خرج على حَلْقَةٍ من أصحابه، فقال: «**ما أَجْلَسَكُم**»؟ قالوا: جلسنا نَذْكُرُ الله تعالى ونحْمَدُه على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا.

قال: «**آللهِ ما أَجْلَسَكُم إلاَّ ذاك؟**» قالوا: والله ما أَجْلَسَنَا إلاَّ ذَاك.

قال: «**أما إنِّي لم أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لكم، ولكنّه أَتَاني جبريلُ فأخبرني أنَّ الله تباركَ وتعالى يباهي بِكم الملائكة**»[2].

= مع الناس. انظر: «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٤٢).

(١) (ح): «يصير».

(٢) «صحيح مسلم» (٢٧٠١).

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليلٌ على شرف الذكر عنده، ومحبته له، وأن له مَزِيَّة على غيره من الأعمال.

الرابعة والخمسون: أنّ مُدْمِنَ الذِّكْر يدخل الجنة وهو يضحك؛ لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبدالرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي، عن أبيه، عن أبي الدرداء قال: «الذين لا تَزالُ ألسنتهم رَطْبَةً مِنْ ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنّة وهو يَضْحَك»[1].

الخامسة والخمسون: أن جميع الأعمال إنما شُرِعَتْ إقامةً لذكر الله تعالى، والمقصودُ بها تحصيلُ ذكر الله تعالى.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

قيل: المصدر مُضَافٌ إلى الفاعل، أي: لأذكرك بها.

وقيل مضافٌ إلى المذكور، أي: لِتَذْكُرَنِي بها، واللام على هذا لام التعليل.

وقيل: هي اللام الوقتية، أي: أقم الصلاة عند ذكري[2]، كقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٣٠٣)، و(١٣/ ٤٥٧)، وأحمد في «الزهد» (١٣٦)، والحسين المروزيُّ في زوائده على «الزهد لابن المبارك» (٣٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٩)، و(٥/ ١٣٣) بإسنادٍ حسن.

(٢) انظر: «تهذيب سنن أبي داود» (٦/ ١٨٠)، و«مدارج السالكين» (١/ ٤١١)، و«روح المعاني» للآلوسي (٨/ ٤٨٦).

لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وهذا المعنى حقٌّ يراد بالآية[١]، لَكنَّ تفسيرها به وأنه هو معناها فيه نظر؛ لأن هذه اللام الوقتية يليها[٢] أسماء الزمان والظّروف، والذِّكْرُ مصدر، إلا أن يُقَدَّر بزمان محذوف، أي: عند وقتِ ذكرى، وهذا محتمل.

والأظهر: أنها لام التعليل، أي: أقم الصلاة لأجل ذكري، ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره، وإذا ذَكَرَ العبدُ ربَّه فذِكْرُ الله تعالى سابقٌ على ذِكره، فإنه لمّا ذَكَره ألهمه ذِكْرَه، فالمعاني الثلاثة حقّ.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فقيل: المعنى: إنكم في الصلاة تذكرون الله، وهو ذَاكِرٌ مَنْ ذَكَره، ولَذِكْرُ اللهِ تعالى إيَّاكُم أكبرُ من ذِكْركم إياه. وهذا يُروى عن ابن عباس، وسلمان، وأبي الدرداء، وابن مسعود، رضي الله عنهم[٣].

وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: هو قول الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، فذِكْرُ الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إيَّاه[٤].

---

(١) (م): «وهذا المعنى مراد»، وفي (ق): «وهذا المعنى حق مراد».
(٢) (ت) و(م) و(ق): «بابُها».
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٢ ـ ٤٤)، و«الدر المنثور» (٦/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧).
(٤) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢٠/ ٤٣).

وقال ابن زيد وقتادة: معناه: ولذكر الله أكبر من كل شيء[1].

وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟! ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدم: «**ألاَ أنبئُكم بخَيْرِ أعْمَالِكُمْ، وأزْكَاها عِندَ مليكِكُم، وخيرٍ لكم من إنْفاق الذَّهَبِ والوَرِق**...» الحديث[3].

وكان شيخ الإسلام أبو العباس قدس الله روحه يقول: الصحيح[4] أن معنى الآية: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، وَلَما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر[5].

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن عباس أنه سئل: أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله أكبر[6].

---

(١) أخرجه الطبريّ (٢٠/ ٤٥) عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤).

(٣) انظر ما تقدّم (ص: ٨٤).

(٤) «الصحيح» ساقطة من (ت).

(٥) انظر: «العبوديّة» (١٠/ ١٨٨ ـ مجموع الفتاوى)، و«مجموع الفتاوى» (١٠/ ٧٥٣)، و(١٥/ ٣٤٤)، و(٢٠/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، و(٣٢/ ٢٣٢)، و«مدارج السالكين» (٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

(٦) أخرجه محمد بن فضيل الضبيّ في «الدعاء» (٢٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (١٠/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥)، و(١٣/ ٣٧٠)، ومُسدَّد في «مسنده» =

وفي «السنن» عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**إنَّما جُعِلَ الطَّوافُ بالبيْتِ، وبيْن الصَّفا والمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الجِمَارِ؛ لإقامة ذِكرِ الله تعالى**». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1].

السادسة والخمسون: أن أفضلَ أهلِ كلِّ عملٍ أكثرُهم فيه ذكراً لله عز وجل، فأفضل الصُّوَّام أكثرُهم ذِكراً لله عز وجل[2] في صومهم، وأفضل

= (٣/ ٢٩ ـ المطالب العالية)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٥٩٣) بإسنادٍ حسن.

(١) أخرجه أبو داود (١٨٨٣)، والترمذي (٩٠٢)، وأحمد (٨/ ٨٦) وغيرهم من حديث عبيدالله بن أبي زياد عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها.

قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٦٦) في ترجمة «عبيدالله بن أبي زياد»: «كان ممّن ينفرد عن القاسم بما لا يتابع عليه».

ونقل العقيليُّ في «الضعفاء» (٣/ ١٩) عن عمرو بن علي الفلّاس قال: سمعت يحيى [القطان] يقول: سمعتُ عبيدالله بن أبي زياد قال: حدثنا القاسم عن عائشة قالت: «إنما جُعِل الطوافُ بالبيت...» [يعني: موقوفاً].

فقلتُ ليحيى: إنّ ابن داود وأبا عاصم يرفعانه.

فقال: قد سمعتُ عبيد الله يحدّث به مرفوعاً، ولكني أهابه مرفوعاً، ولكنّي أهابه!».

(وقد تحرّف قوله: «يحدّث به مرفوعاً» إلى «يحدّث من قول علي»! في مطبوعَتَيْ «الضعفاء»).

وانظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٥/ ١٤٥)، و«تحفة الأشراف» (١٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠)، و«سنن الدارمي» (١/ ٤٧٩).

وصحّحه ابن خزيمة (٢٨٨٢)، والحاكم (١/ ٤٥٩) ولم يتعقبه الذهبي، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه ابن الجارود في «المنتقى» (٤٥٧)، وابنُ عديّ في «الكامل» (٤/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) في ترجمة «عبيدالله بن أبي زياد»، ولم يره منكراً.

(٢) قوله: «فأفضل الصُّوام أكثرهم ذكراً لله عز وجل» ساقط من (ت).

المتصدِّقين أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وأفضل الحجاج أكثرهم ذِكراً لله عز وجل، وهكذا سائر الأعمال.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثاً مرسلاً في ذلك: أن النبيَّ ﷺ سُئل: أيُّ أهل المسجد خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**». قيل: فأيُّ أهل الجنازة خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**». قيل: فأيُّ المجاهدين خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**». قيل: فأيُّ الحُجَّاج خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**». قيل: وأي العُوَّادِ[1] خير؟ قال: «**أكثرهم ذكراً لله عز وجل**». قال أبو بكر: ذهب الذَّاكرون بالخير كلِّه[2].

وقال عبيد بن عمير: إِنْ أعظَمَكم هذا الليلُ أن تُكابِدوه، وبَخِلْتُمْ على

---

(١) وردت هذه اللفظة في (ت) كأنها «العُبّاد»، والمثبت من (ح) و(م) و(ق) ورواية البيهقي في «الشعب»، ولعلّ المقصود: عُوَّاد المرضى.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٠١) من حديث أبي سعيد المقبري مرسلاً.
والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٣٦٦) مرسلاً من وجهٍ آخر.
ورُوِي موصولاً من حديث سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ.
أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٨٦)، و«الدعاء» (٣/ ١٦٤٢) بإسنادٍ ضعيف.
قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٧٤):
«وفيه زبّان بن فائد، وهو ضعيف، وقد وُثِّق، وكذلك ابن لهيعة، وبقية رجاله ثقات».

المال أن تُنفِقُوه، وجَبُنْتُم عن العدوِّ أن تقاتلوه = فَأكْثِروا من ذِكْرِ الله عز وجل[1].

السابعة والخمسون: أنّ إدامة الذكر تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها، سواء كانت بدنيّة، أو ماليّة، أو بدنية مالية كحج التطوع.

وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتَوْا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرجَاتِ العُلى، والنَّعيم المُقيم، يُصَلُّونَ كما نُصلِّي ويَصُومُونَ كما نَصُومُ، ولهُمْ فَضْلُ أمْوال يَحُجُّونَ بها، ويَعْتَمِرُون، ويجاهِدُون.

فقال: «**ألا أعَلِّمُكُم شَيئاً تُدْرِكُون به مَنْ سبقَكُم، وتَسْبِقُون به من بَعْدَكُم، ولا أحَد يكُونَ أفْضلَ مِنكُم إلا من صنع مِثْلَ ما صنعْتُم**»؟ قالوا: بلى يارسول الله. قال: «**تُسَبِّحُونَ، وتَحْمَدُون، وتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كلِّ صلاة**...» الحديث. متفق عليه[2].

فجعل الذِّكر عِوَضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يَسْبِقُونَهُم[3] بهذا الذِّكر، فلما سمع أهل الدُّثُور بذلك عملوا به، فازدادوا ـ إلى صدقاتهم وعباداتهم بمالهم ـ التعبُّدَ بهذا الذِّكر، فحازوا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٣٩٢)، وأحمد في «الزهد» (٣٧٨ ـ ٣٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٣٩١ ـ ٣٩٢) ـ أيضاً ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بإسنادٍ حسن.

(٢) «صحيح البخاري» (٨٣٤، ٦٣٢٩)، و«صحيح مسلم» (٥٩٥).

(٣) (ت) و(م): «يسبقون».

الفضيلتين، فنافسهم الفقراء وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك، وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه، فقال: «**ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤتِيه من يَشَاء**».

وفي حديث عبدالله بن بسر قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، كثرت عليَّ خِلال الإسلام وشرائِعُه، فأخبرني بأمرٍ جامعٍ يكفيني. قال: «**عَلَيْكَ بِذِكْرِ الله تعالى**» قال: ويكفيني يا رسول الله؟ قال: «**نعم، ويَفْضُلُ عنْكَ**»[1].

فَدَلَّهُ الناصح ﷺ على شيءٍ يَبْعَثُه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أَحَبَّه وأحبَّ ما يُحِبّ، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام، فلذلك دَلَّه[2] ﷺ على ما يَتَمَكَّن به من شرائع الإسلام، وتسهل به عليه، وهو ذكر الله عز وجل. يوضِّحُه:

الثامنة والخمسون: أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته؛ فإنه يُحَبِّبُها إلى العبد، ويُسَهِّلها عليه، ويُلَذِّذُها له، ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمَه وسرورَه بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثِّقَل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك. يوضِّحُه:

التاسعة والخمسون: أن ذكر الله عز وجل يُسَهِّل الصَّعْب، ويُيَسِّر العسير،

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٨٦)، وأخرجه باللفظ المذكور هنا ابنُ أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٥١).

(٢) (ح) و(ق): «فدلّه».

ويُخفِّفُ المَشَاقَّ، فما ذُكِر الله عز وجل على صعبٍ إلا هان، ولا على عَسيرٍ إلا تَيَسَّر، ولا مشقَّةٍ إلا خَفَّتْ، ولا شِدَّةٍ إلاَّ زَالت، ولا كُرْبَةٍ إلا انفرجت، فَذِكْرُ الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليُسْرُ بعد العُسْرِ، والفرج بعد الغم والهم. يوضحه:

الستون: أن ذكر الله عز وجل يُذْهِب عن القلب مَخَاوِفَه كلَّها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، فإنّه[1] بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوفَ التي يحذرها[2] أمانٌ له، والغافلُ خائف مع أَمْنِه، حتى كأنَّ ما هو فيه من الأمنِ كلِّه مخاوفٌ، ومَنْ له أدنى حِسٍّ قد جَرَّبَ هذا وهذا. والله المستعان.

الحادية والستون: أن الذكر يُعْطِي الذَّاكر قُوَّةً، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يُطِيق فِعْلَه بدونه، وقد شاهدتُ من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في مِشْيته[3]، وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمراً عجيباً؛ فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جُمعة أو أكثر، وقد شاهد العَسْكرُ من قُوَّتِه في الحرب أمراً عظيماً.

وقد علَّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعلياً ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن يسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجِعَهما ثلاثاً وثلاثين، ويَحْمَدا ثلاثاً

---

(١) (ح): «إذْ».
(٢) (ت): «التي يجدها»، وفي (م): «كأن المخاوف يجدها أماناً له».
(٣) (ت) و(ق): «مَشْيه»، وفي (ح): «سننه»، وهو خطأ.

وثلاثين، ويكبِّرا أربعاً وثلاثين؛ لمَّا سألَتْهُ الخَادِمَ، وشكَتْ إليه ما تقاسيه من الطَّحْنِ والسَّعْي[1] والخِدْمَةِ، فعلَّمها ذلك، وقال: «**إنَّه خَيْرٌ لكما من خادم**»[2].

فقيل: إنَّ[3] من داوم على ذلك وجد قوةً في بدنه مُغْنِيةً عن خادم.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثراً في هذا الباب، وهو[4]: أنَّ الملائكة لما أُمِروا بِحَمْلِ العرش قالوا: يا ربنا، كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟ فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم[5]، فلما قالوها حملوه[6]، حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح قال: حدثنا مَشْيَخَتُنا أنه بلغهم: أنَّ أول ما خلق الله عز وجل ـ حين كان عرشه على الماء ـ حَمَلَةَ العرش قالوا: ربنا لِم خلَقْتَنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي. قالوا: ربَّنا، وَمَنْ يَقْوَى على حملِ عرشِكَ وعليه عظَمَتُك وجلالُك وَوَقارُك؟ قال: لذلك خلقتكم. فأعادوا عليه ذلك مراراً، فقال لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فحملوه[7].

---

(١) (ت): «ومن السعي».

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧) من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٣) «إنّ» من (ح) و(ق).

(٤) (ح): «ويقول».

(٥) «العليّ العظيم» ليست في (ح).

(٦) انظر: «نقض التأسيس» (١/٥٦٨)، و«التحفة العراقية» (١٠/٣٣ ـ مجموع الفتاوى)، و«الردّ الوافر» لابن ناصر الدين (٦٩).

(٧) أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «ردّه على المريسي» (١٠٤).
وأخرج الطبريُّ في «التفسير» (٢٣/٥٨٣ ـ ٥٨٤) نحوه عن ابن زيدٍ قال: =

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وَتَحَمُّلِ المَشَاقِّ، والدخول على المُلوك، وَمَنْ يُخاف، وركوب الأهوال.

ولها أيضاً تأثير عجيب[1] في دفع الفقر، كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن أسد بن وداعة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قال: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله مائة مرَّة في كل يوْم لم يُصِبْه فَقْرٌ أبَدَاً**»[2].

وكان حبيب بن مسلمة يستحب إذا لقي عدُواً، أو ناهَضَ حصْناً قَوْلَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاَّ بالله. وإنَّهُ نَاهَضَ يوماً حِصْناً فانهزم الرُّوم[3]، فقالها المسلمون وكبَّروا، فانْصَدَعَ الحِصْن[4].

= قال رسول الله ﷺ: «. . . .» فذكره هكذا معلَّقاً.
وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٥٥ ـ ٩٥٦) من قولِ وهب بن منبّه.
وهو من الإسرائيليات.

(١) «عجيب» ساقطة من (ت) و(ح) و(ق).

(٢) لم أقف عليه. وهو على كلِّ حالٍ مرسلٌ، وانظر:
«الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٤٤١)، و«عجالة الإملاء» للنّاجي (٣١٧)، و«ضعيف الترغيب والترهيب» للألباني (١/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧).

(٣) (ح): «ناهض يوماً حصناً للروم فانهزم فقالها. . .»، وفي (م): «ناهض حصناً فانهزم الروم فقالها. . .».

(٤) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» (٦/ ١١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٧٧).

الثانية والستون: أن عُمَّال الآخرة في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القَتَر والغبار يمنع من رؤية سَبْقِهم، فإذا انجلى الغبار وانكشفَ رآهم الناس وقد حازوا قَصَبَ السَّبْق.

قال الوليد بن مسلم: حدثنا محمد بن عجلان: سمعت عمر مولى غفرة يقول: إذا انْكَشَف الغِطَاءُ[1] [للنَّاس] يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يَرَوْا عملاً أفضل ثواباً من الذِّكْر، فَيَتَحَسَّرُ عند ذلك أقوامٌ، فيقولون: ما كان شيء أيْسر علينا من الذِّكْر.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**سيرُوا، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ**[2]» قالوا: وما المُفَرِّدُونَ؟ قال: «**الذين أُهْتِرُوْا في ذِكْرِ الله تعالى، يَضَعُ الذكرُ عنهم أوزارَهم**»[3].

---

(١) (ت) و(م): «الغبار»، وما بين المعكوفين ليس في الأصول التي بين يديّ، والسّياق يقتضيه، والأثر لم أقف عليه.

(٢) ضَبطَها بعضُهم: «المُفْرَدون» بالتخفيف. انظر: «تصحيفات المحدثين» للعسكري (١/ ١/ ٢٦٩)، و«شرح مسلم» للنووي (٩/ ٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٠٣)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٥) في ترجمة راويه «عمر بن راشد»، وهو ضعيف الحديث، وخاصّة في يحيى بن أبي كثير، وحديثه هذا عنه.
وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
ورُوِي من وجهٍ أحسن من هذا، وليس فيه قوله «يضع الذكر عنهم أوزارهم».
أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣)، وصحّحه الحاكم (١/ ٤٩٥)، ولم يتعقبه الذهبي، وذكر البخاريُّ أنّه أصحُّ من الوجه السابق، =

أُهْتِرُوا بالشيء وفيه: أُولِعُوا به ولَزِمُوه وجعلوه دَأْبهم.

وفي بعض ألفاظ الحديث: «المُسْتَهْتَرُون بذِكْرِ الله».

ومعناه: الذين أُولِعوا به. يقال: استُهْتِرَ فلانٌ بكذا؛ إذا أُولِع به.

وفيه تفسير آخر: أنّ «أُهْتِرُوا في ذكر الله» أي: كَبُروا وهَلَكَ أقرانُهم وهم في ذكر الله تعالى[1].

يقال: أَهْتَرَ الرجلُ[2]، فهو مُهْتِر: إذا أَسْقَطَ في كلامه من الكِبَر. والهِتْرُ: السَّقَطُ من الكلام؛ كأنه بقي في ذكر الله تعالى حتى خَرِفَ وأنكر عقله. والهِتْرُ: الباطل أيضاً. ورجل مُسْتَهْتَر[3]: إذا كان كثير الأباطيل.

وفي حديث ابن عمر: «أعوذ بالله أن أكون من المُسْتَهْتَرين»[4].

= وتبعه على ذلك البيهقي.
ورُوِي من وجهٍ آخر ضعيفٍ.
أخرجه أبو القاسم التيمي الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٣٥٣).
وأصلُ الحديث في «صحيح مسلم» (٢٦٧٦).

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ٢٣٤).

(٢) (ت) و(م): «أهتر الرجل يهتر».

(٣) وما يجري على ألسنة عامة الناس مِنْ قولهم: «مُسْتَهْتِر» (بالبناء للمعلوم) = معدودٌ من أخطائهم. انظر: «معجم الأخطاء الشائعة» للعدناني (٢٥٧).
وانظر: «المفضّليات» (١٤٨ ـ ط المعارف)، وقارن بـ «شرح اختيارات المفضّل» للخطيب التبريزي (٢/ ٧٠٢).

(٤) لم أقف عليه. وانظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٤٢).

وحقيقة لفظ الاستهتار: الإكثار من الشيء، والولوع به، حقاً كان أو باطلاً، وغلب في عُرفِ الناس[1] استعماله على المُبْطِل، حتى إذا قيل: فلان مُسْتَهْتَر، لا يُفْهَم منه إلا الباطل. وإنما إذا قُيِّد بشيءٍ تقيَّدَ به، نحو: هو مُسْتَهْتَر، أو قد أُهْتِرَ في ذكر الله تعالى؛ أي: أُولِع به وأُغْرِيَ به.

ويقال: استُهْتِرَ فيه وَبِه.

وتفسير هذا في الأثر الآخر: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ الله تعالى حتى يُقال: مجْنُونٌ»[2].

الثالثة والستون: أن الذكر سببٌ لتصديق الرب عز وجل عبدَه، فإنه خَبَرٌ[3] عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربُّه، ومن صدَّقه الله تعالى لم يُحْشَرْ مع الكاذبين، ورُجِيَ له أن يُحْشَر مع الصادقين.

روى أبو إسحاق عن الأَغَرِّ أبي مسلم، أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا قال العَبْدُ: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله تبارك وتعالى: صَدَقَ عَبْدِي. لا إله إلا أنا، وأنَا أكْبَرُ. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وَحْدي. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلاّ أنا، ولا شريك لي. وإذا قال: لا**

---

(١) «في عُرفِ الناس» من (م) فقط.

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٩٣).

(٣) (ح): «اخبر».

إله إلاّ الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلاّ أنا، لي الملك ولي الحمد. وإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي».

قال أبو إسحاق: ثم قال الأغرُّ شيئاً لم أفهَمْهُ. قلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال: «مَنْ رُزِقَهُنَّ عند مَوْته لم تَمَسَّهُ النَّار»[1].

الرابعة والستون: أَنَّ دُورَ الجنّة تُبْنَى بالذكر، فإذا أَمْسَكَ الذاكرُ عن الذكر أَمْسَكتِ الملائكةُ عن البناء، فإذا أَخَذَ في الذكر أخذوا في البناء.

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه، عن حكيم بن محمد الأخنسي قال: بلغني أن دُوَر الجنة تُبْنَى بالذكر، فإذا أُمْسِكَ عن الذكر أَمْسَكُوا عن البناء، فيقال لهم، فيقولون[2]: حتى تأتينا نفقة[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٠)، وابن ماجه (٣٧٩٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠) وغيرهم.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق عن الأغرّ أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد بنحو هذا الحديث بمعناه، ولم يرفعه شعبة».
وأعلّه بمثل ذلك النسائي، وانظر: «علل الدارقطني» (٨/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).
وصحّحه ابن حبان (٨٥١)، والحاكم (١/ ٥) فتعقّبه الذهبيُّ بقوله: «أوقفه شعبة وغيره».
ومثلُ هذا ممّا لا يُقال بالرأي، فله حكم الرفع، والله أعلم.

(٢) (ت): «فيقولوا».

(٣) كتابُ ابن أبي الدّنيا في «الذكر» لم يُطبع حتى الآن، ولم أر من أشار إلى شيءٍ من نسخه الخطّية.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال: «**مَنْ قالَ: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم ـ سبع مرات ـ بُنِيَ له بُرْجٌ في الجنّة**»[1].

وكما أن بناءها بالذكر، فَغِراسُ بساتينها بالذكر، كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام: «**أن الجنة طَيِّبَةُ التُّرْبَة، عَذْبَةُ الماء، وأنَّها قِيعَانْ، وَأنَّ غِراسَها: سُبْحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[2].

فالذكرُ غِراسُها وبناؤها.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أكْثروا مِنْ غِراس الجنة**» قالوا: يا رسول الله، وما غِراسُها؟ قال: «**ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**»[3].

الخامسة والستون: أنَّ الذكر سَدٌّ بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٥٢٢) موقوفاً بإسنادٍ ضعيف.
وانظر: «الجرح والتعديل» (٤/ ٧٦).

(٢) انظر (ص: ١٠١).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٤١٧) من طريق ابن أبي الدنيا، والطبرانيُّ في «الكبير» (١٢/ ٢٧٩) بإسنادٍ ضعيف.
قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٩٨): «وفيه عقبة بن عليّ، وهو ضعيف».
وورد الحديث عند الطبراني مقتصراً على «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ولفظه عند الخطيب: «لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

جهنم طريقٌ من عملٍ من الأعمال كان الذكر سَدًّا في تلك الطريق، فإذا كان[1] ذِكْراً دائماً كاملاً كان سَدًّا مُحْكَماً لا مَنْفَذَ فيه، وإلا فَبِحَسَبِه.

قال عبدالعزيز بن أبي رَوَّاد: كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجداً، فجعل في قِبْلته سبعة أحجار، وكان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار! أُشْهِدُكم أن لا إله إلا الله. قال: فمرض الرجل، فَعُرِجَ بروحه. قال: فرأيت في منامي أنه أُمِر بي إلى النار. قال: فرأيت حجراً من تلك الأحجار أعرفه قد عَظُم، فَسَدَّ عني باباً من أبواب جهنم. قال: ثم أُتِي بي إلى الباب الآخر، فإذا حجرٌ من تلك الأحجار أعرفه قد عَظُم، فَسَدَّ عني باباً من أبواب جهنم[2]، حتى سَدَّتْ عني بقيةُ الأحجار أبوابَ جهنم[3].

السادسة والستون: أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، كما روى حسين المعلِّم، عن عبدالله بن بريدة، عن عامر الشعبي، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: أَجِدُ في كتاب الله المُنزل: أن العبد إذا قال: «الحمد لله» قالت الملائكة: «رَبِّ العالمين»، وإذا قال: «الحمد لله ربِّ العالمين» قالت الملائكة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِك»، وإذا قال: «سُبْحَانَ الله» قالت الملائكة: «وَبِحَمْدِه»، وإذا قال: «سبحان الله وبحمده» قالت الملائكة: «اللهم اغْفِرْ لِعَبْدِك»، وإذا قال: «لا إله إلا الله» قالت الملائكة: «والله أكبر»، وإذا قال: «لا إله إلا الله والله أكبر»

---

(١) (ت) و(ق): «فإن كان».

(٢) من قوله: «قال ثم أُتِي بي» إلى هنا، ساقط من (ت).

(٣) أخرجه أبو القاسم التيمي الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٥١٥).

قالت الملائكة: «اللهم اغْفِرْ لِعَبْدِكَ»[1].

السابعة والستون: أنَّ الجبال والقفَار تَتَباهى، وتَسْتَبْشِر بمن يذكر الله عز وجل عليها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أَمَرَّ بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل؟ فإذا قال: «نعم» اسْتَبْشَر[2].

وقال عون بن عبدالله: إن البقاع لينادي بعضها بعضاً: يا جارتاه! أَمَرَّ بِكِ اليوم أحد يذكر الله؟ فقائلة: نعم، وقائلة: لا[3].

وقال الأعمش عن مجاهد: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان! هل مَرَّ بك اليوم ذاكرٌ لله عز وجل؟ فَمِنْ قائلٍ: لا، ومِنْ قائلٍ: نعم[4].

---

(١) انظر: ما تقدم (ص: ١٩١) في التعليق (٣).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٢ ـ ١١٣)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٣/ ٣٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤، ٥٨١) بإسنادٍ حسن.

(٣) أخرج ابنُ أبي حاتم في «التفسير» ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٢٥٢) ـ، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٤٢) عن ابن عونٍ قريباً من المرويّ آنفاً عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

(٤) ورد بعضه عن أنسٍ رضي الله عنه موقوفاً عند ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٣/ ٣٦٥)، وابن المبارك في «الزهد» (١١٣).
ورُوِي عنه مرفوعاً، ولا يصّح.
أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ١٧٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

الثامنة والستون: أنَّ كثرة ذكر الله عز وجل أمانٌ من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل[1].

قال الله عز وجل في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال كعب: مَنْ أَكْثَرَ ذكر الله عز وجل برىء من النفاق[2].

ولهذا ـ والله أعلم ـ ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩]؛ فإن في ذلك تحذيراً من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل، فوقعوا في النفاق.

وسُئِل بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عن الخوارج: أمنافقون هم؟ قال: لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً[3].

---

(١) (ت) و(م) و(ق): «فالمنافق قليل الذكر لله عز وجل».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠).
ورُوِي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.
أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٨٦)، و«الصغير» (٢/ ١٧٢)، وأبو موسى المديني في «اللطائف من دقائق المعارف» (٣٨٧ ـ ٣٨٨)، ولا يصّح.
انظر: «لسان الميزان» (٥/ ١٩٥)، و«مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٩)، و«السلسلة الضعيفة» (٨٩٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٥/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ٣٣٢)، وعبدالرزاق في «المصنّف» (١٠/ ١٥٠)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤) وغيرهم بأسانيد بعضها صحيح.

فهذا من علامة النفاق: قِلَّةُ ذِكْرِ الله عز وجل. وكثرةُ ذكره أمانٌ من النفاق، واللهُ عز وجل أكرمُ من أن يبتلي قلباً ذاكراً بالنفاق، وإنما ذلك لقلوبٍ غفلت عن ذكر الله عز وجل.

التاسعة والستون: أن للذكر من بين الأعمال لَذّةً لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذةُ الحاصلة للذاكر، والنعيمُ الذي يحصل لقلبه لكفى به، ولهذا سُمِّيَتْ مجالسُ الذكر رياضَ الجنة.

قال مالك بن دينار: ما تَلَذَّذَ المُتَلَذِّذُون بمثل ذكر الله عز وجل[1].

فليس شيء من الأعمال أخفُّ مؤونةً منه، ولا أعظم لذة، ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب.

السبعون: أنه يكسو الوجه نُضْرةً في الدنيا، ونوراً في الآخرة، فالذاكرون أَنْضَرُ الناسِ وجوهاً في الدنيا، وأَنْوَرُهُم في الآخرة.

ومن المراسيل عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قال كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير؛ أتى الله تعالى[2] يوم القيامة ووجهه أشدُّ بياضاً من القمر ليلة البدر**»[3].

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٩).
وأخرجه أحمد في «الزهد» (٣٢١)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٨) بلفظ: «ما تنعّم المتنعّمون...».

(٢) (ت): «أتى يوم القيامة...»، وفي (م): «أتى الله ووجهه..».

(٣) أخرجه بنحوه الطبراني في «مسند الشاميّين» (٢/ ١٠٣) عن أبي الدرداء رضي =

الحادية والسبعون: أن في دوام الذكر في الطريق، والبيت، والحضر، والسفر، والبقاع = تكثيرَ الشهود للعبد يوم القيامة؛ فإن البقعة، والدار، والجبل، والأرض تشهد[1] للذاكر يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٥].

فروى الترمذي في «جامعه» من حديث سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾، قال: «**أَتَدْرُونَ ما أخْبارُها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنَّ أخْبارها أنْ تشهدَ على كُلِّ عَبْدٍ أوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظَهْرِها، تقول: عَمِل يوم كذا، كذا وكذا**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[2].

= الله عنه مرفوعاً.

قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٨٦): «وفيه عبدالوهاب بن الضحاك، وهو متروك».

وأخرجه أبو القاسم الأصبهاني في « الترغيب والترهيب» (٢٥١٣) عن ابن أبي عياش، من قوله، إلاّ أنه قال: «مائتي مرة».

(١) (ت) و(م): «يشهدون».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٢٩، ٣٣٥٣)، وأحمد (٣/ ٣٨٢)، والنسائي في «التفسير» من «الكبرى» (١٠/ ٣٤٢) وغيرهم.

ومدارُه عندهم جميعاً على «يحيى بن أبي سليمان»، وهو ضعيف.

وقال الترمذي ـ كما في «تحفة الأشراف» (٩/ ٥٠١) ـ:

«حسن غريب صحيح»، وفي مطبوعة «جامع الترمذي» في الموضع =

والذاكرُ لله عز وجل في سائر البقاع يَكْثُرُ شهوده[1]، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوا يوم قيام الأشهاد[2]، وأداء الشهادات، فيفرح ويغتبط بشهادتهم.

الثانية والسبعون: أن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة، والنميمة، واللغو، ومدح الناس، وذَمِّهم، وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت ألبتة؛ فإما لسانٌ ذاكرٌ، وإمَّا لِسَانٌ لاغٍ، ولابد من أحدهما.

فهي النفسُ إن لم تَشْغَلْها بالحق وإلا شَغَلَتْكَ بالباطل، وهو القلب إنْ لم تَسْكُنه محبةُ الله عز وجل، سَكَنَتْهُ محبة المخلوقين ولابُدّ، وهو اللسان إنْ لم تشغله بالذكر شغلك باللغو، وهو عليك ولابُدّ، فاختر لنفسك إحدى الخُطَّتين، وأَنْزِلْها في إحدى المنزلتين.

الثالثة والسبعون: وهي التي بدأنا بذكرها، وأشرنا إليها إشارة[3]، فنذكرها هاهنا مبسوطةً لعظيم الفائدة بها، وحاجة كل أحدٍ، بل ضرورتُه

= الأوّل: «حسن غريب»، وفي الموضع الثاني: «حسن صحيح»..
وصححه ابن حبان (٧٣٦٠)، والحاكم (٢/ ٢٥٦، ٥٣٢) فتعقبه الذهبيُّ في الموضع الثاني بقوله: «قلتُ: يحيى هذا منكر الحديث، قاله البخاري».

(١) (ح) و(ق): «مكثر شهوده».

(٢) كذا في (ت) و(م) و(ق)، وفي (ح): «يقبلوا يوم القيامة قيام الأشهاد...»، أي: يقبلوا الشهادة له، وفي بعض مطبوعات الكتاب: «يقبلوه يوم القيامة يوم قيام الأشهاد»، والمعنى على كلٍّ ظاهر.

(٣) «وأشرنا إليها إشارة» من (ح) و(ق)، وفي (م): «وأشرنا إليها».

إليها، وهي أن الشياطين قد احْتَوَشَتْ العبد، وَهُمْ أعداؤه، فما ظنك برجل قد احْتَوَشَه أعداؤه المُحْنِقُون عليه غيظاً، وأحاطوا به، وكُلٌّ منهم يناله بما يقدر عليه من الشَّرِّ والأذى؟!

ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل.

وقد جاء في هذا الحديث العظيم، الشريفِ القدر، الذي ينبغي لكل مسلم أن يحفظه، فنذكره بطوله لعموم فائدته، وحاجة الخلق إليه، وهوحديث سعيد بن المسيب، عن عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب[1] قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً، ونحن في صُفَّةٍ بالمدينة، فقام علينا وقال: «**إني رأيْتُ البارِحَة عَجَباً: رأيتُ رجلاً من أمَّتي أتاه مَلَكُ الموت ليَقْبِض رُوحَهُ فجاءه بِرُّه بوالِدَيْه فردَّ مَلَك الموت عنه، ورأيت رجلاً قد بُسِط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤُه فاستنقذه من ذلك، ورأيتُ رجُلاً من أمَّتي قد احْتَوَشَتْه الشياطين فجاءه ذكْرُ الله عز وجل فطرد الشيطان عنه،**

---

(١) في (ح) و(ق) وبعض مطبوعات الكتاب: «جندب»، وهو خطأ.
وعبدالرحمن بن سمرة هو ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي. انظر: «جمهرة النسب» لابن الكلبي (٥٥)، و«نسب قريش» للمصعب الزبيري (١٥٠)، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (٧٤)، و«الإصابة» لابن حجر (٤/ ٣١٠) وغيرها.
أمّا سمرة بن جندب فهو ابن هلال بن حريج الفزاري، وكان من حلفاء الأنصار. انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (٢٥٩)، و«الإصابة» لابن حجر (٣/ ١٧٨ ـ ١٧٩) وغيرها.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاتُه فاستنقذته من أيديهم، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي يلتهب ـ وفي رواية: يلهث ـ عَطَشاً، كلَّما دنا من حوضٍ مُنِعَ وطُرِد، فجاءه صيامه شهر رمضانَ فأسْقَاهُ وأرْوَاهُ، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي ورأيت النَّبيِّين جُلوساً حِلَقاً حِلَقاً، كلما دنا إلى حَلْقَةٍ طُرِدَ، فجاءه غُسْلُه من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبي، ورأيتُ رجلاً من أمتي بين يديه ظُلْمَة، ومن خلفه ظُلْمَة، وعن يمينه ظُلْمَة، وعن يساره ظُلْمَة، ومن فوقه ظُلْمَة، ومن تحته ظُلْمَة، وهو متحيِّر فيها، فجاءه حجُّه وعُمرتُه فاستخرجاه من الظلمة، وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أمَّتي يتَّقي بيده وَهَجَ النار وشَرَرها[1] فجاءته صدقته فصارت سُتْرةً بينه وبين النار، وظلَّلَتْ على رأسه، ورأيتُ رجلاً من أمتي يُكَلِّم المؤمنين ولا يكلِّمونه، فجاءته صِلَتُه لِرَحِمه فقالت: يا معشر المسلمين! إنه كان وَصُولاً لِرَحِمه فَكلِّمُوه، فَكَلَّمَه المؤمنون وصافَحُوه وصافَحَهُم، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي قد احْتَوَشَتْه الزَّبانِيَةُ، فجاءه أمره بالمعروف ونَهْيُه عن المنكر فاسْتَنْقَذَه من أيديهم، وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على رُكْبَتَيْه، وبينه وبين الله عز وجل حجاب، فجاءه حُسْنُ خُلُقِه، فأخذه بيده فأدخله على الله عز وجل،
ورأيتُ رجلاً من أمتي قد ذهبَتْ صحيفته من قِبَل شماله، فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي خَفَّ

---

(١) (ت) و(ح): «وشرره».

ميزانُه، فجاءه أفراطُه فَثَقَّلُوا ميزانه، ورأيتُ رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار، فجاءته دمعته التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك، ورأيتُ رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السَّعَفَة في ريحٍ عاصف، فجاءه حُسْنُ ظَنِّه بالله عز وجل فسكَّن رِعْدَتَهُ ومضى، ورأيتُ رجلاً من أمتي يَزْحَفُ على الصراط ويحبو أحياناً، ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلِّقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة»[1]. رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب «الترغيب

---

(١) هذا الحديث يرويه عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه، وعنه: مجاهد، وسعيد بن المسيب.

فأمّا رواية مجاهد: فأخرجها أبو القاسم التّيمي الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٠٤٩، ١٢٠٥، ٢٤٤٠)، والطبراني في «الكبير» («جامع المسانيد» لابن كثير: ٨/ ٣٣٣، وسقط منه ذكر مجاهد)، والباغبان في «فوائده» («المداوي»: ٣/ ٣٨ ـ ٣٩)، ومن طريقه تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية» (١/ ١٦٣ ـ ١٦٥).

قال ابن مندة: «هذا حديث غريب بهذا الإسناد، تفرد به خالد بن عبدالرحمن عن عمر بن ذر».

وخالد بن عبدالرحمن هذا اختلفت المصادر السابقة في نِسْبته، فنُسب عند الطبراني: «المخزومي»، والمخزوميُّ ضعيف، وبه أَعلَّ الهيثمي هذه الطريق في «المجمع» (٧/ ١٨٩). =

= ونُسب عند الباغبان ـ ومن طريقه ابن السبكي ـ: «السلمي»، والسلميُّ صدوق لا بأسَ به.

ويغلب على ظنيّ أنه لا هذا ولا ذاك، وأنه «الخراساني»، وهو ثقة.

وقد عدّ ابن عديّ «المخزوميَّ» و«الخراسانيَّ» واحداً، وفرّق بينهما العقيليُّ وغيره، وهو الأقرب، وهذا موضع يحتاج إلى فضل تحرير وبيان.

ومجاهد كثير الإرسال عن الصحابة، ولم أقف له على سماعٍ من عبدالرحمن بن سمرة، ولا رأيتُ من أثبته له.

وأمّا رواية سعيد بن المسيّب، فقد رواه عن سعيد جماعة: علي بن زيد بن جدعان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبدالرحمن بن أبي عبدالله، وهلال أبو جبلة

* علي بن زيد بن جدعان (وفيه ضعف):

وعنه: مخلد بن عبدالواحد، وهلال بن عبدالرحمن، وأبو عبدالله المديني، والوزير بن عبدالرحمن.

فأما رواية مخلد بن عبدالواحد: فأخرجها بحشل في «تاريخ واسط» (١٨٩)، وابن بشران في «الأمالي» (٢٥٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٤٤)، ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٢١٠).

ولا تصحّ؛ فإن مخلد بن عبدالواحد ضعيف منكر الحديث، وقد أورد ابن حبان حديثه هذا في ترجمته من «المجروحين» مستدلاً به على ضعفه. وبه وبعلي بن زيد بن جدعان أعلّ ابن الجوزي هذه الرواية.

وأمّا رواية هلال بن عبدالرحمن: فأخرجها الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١/ ٦٧ مختصراً، وتصحّف اسم هلال في المطبوعة فلم تجد له المحققة ترجمة)، وابن شاذان في «مشيخته» («المداوي»: ٣/ ٤١).

ولا تصحّ؛ فإنّ هلالاً منكر الحديث، وقد أورد حديثه هذا العقيليُّ في «الضعفاء» (٤/ ٣٥٠) في ترجمته، مع حديثين آخرين، ثمّ قال: «وكلّ هذه مناكير، لا أصول لها، ولا يتابع عليها».

وأمّا رواية أبي عبدالله المدني (أو: المديني): فأخرجها ابن شاهين في «الترغيب =

= في فضائل الأعمال» (٥٢٦)، ولم أستطع تعيين أبي عبدالله هذا، وفي الإسناد من لم أعرفه.

وأمّا رواية الوزير بن عبدالرحمن (وهو ضعيف، إن لم يكن ثَمّ في الاسم تحريف؛ فإني في ريب منه، وانظر: «اللسان» ٦/ ٢١٩): فأخرجها الطبراني في «الأحاديث الطوالّ» (٣٩)، و«الكبير» («جامع المسانيد» لابن كثير: ٨/ ٣٣١ ـ ٣٣٢، ووقع اسمه في المطبوعة: «الروي» وهو تحريف ولابدّ).

وفي الطريق إليه: سليمان بن أحمد الواسطي، وهو متهم بالكذب («اللسان»: ٣/ ٧٢)، وبه أعلّ الهيثميُّ في «المجمع» (٧/ ١٨٩) هذه الرواية.

* يحيى بن سعيد الأنصاري:

وأخرج روايته عن ابن المسيب أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/ ٣٠٣ مختصراً)، ومن طريقه أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ٣٣٢).

وفي الإسناد إليه: علي بن بشر بن عبيدالله الأصبهاني، وهو ضعيف («اللسان»: ٤/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، ونوح بن يعقوب الأشعري لم أقف على توثيق له.

ورواه محمد بن حسان الكوفي (ضعيفٌ، يكذب في حدّيث الناس) عن عبدالله بن نمير عن يحيى بن سعيد به.

قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٣٨):

«سئل محمد بن عبدالله بن نمير عنه، وقيل له: بالريّ رجل كوفيّ يقال له محمد بن حسان، يروي عن أبيك.

قال: وأيُّ شيء روى؟

قالوا: روى عن أبيك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عبدالرحمن بن سمرة عن النبي ﷺ قال: «رأيت رجالاً يؤتى بهم...» الحديث الطويل.

قال: ترك الناس كلّهم وجاء يكذب على أبي؟!».

* عبد الرحمن بن أبي عبدالله (ولعله: عبدالرحمن بن حرملة الأسلميّ، وهو صدوق):

وأخرج روايته عن سعيد بن المسيب الحكيمُ الترمذي في «نوادر الأصول» =

= (٣/ ٢٣١ المطبوعة، محذوفة الأسانيد)، وساق إسناد الحكيم ابنُ كثير في «التفسير» (٤/ ١٩٣١)، وأخرجه تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية» (١/ ١٦٢) من طريق أبي عثمان الصابوني به.

وفي إسناده من لم أعرفه.

* هلال أبو جبل (وفي بعض مصادر ترجمته: أبو جبلة، وفي بعضها: أبو جيل (بالياء)، وتحرف اسمه في مطبوعة «مشيخة ابن الجوزي»)، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ٧٧) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية»: «مجهول».

وانظر: «الكنى» لمسلم (ق٢١ص٩٧)، ولأبي أحمد الحاكم (٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، ولابن منده (٢٠٧)، ولابن عبدالبر (١/ ٥٤١).

وأخرج روايته عن سعيد بن المسيب ابن الجوزي في «مشيخته» (١٨٧ ـ ١٩٠)، وفي «العلل المتناهية» (٢/ ٢٠٨ ـ ٢١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ٤٠٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص٩ط السلفية، وسقط من ط د. سعاد الخندقاوي)، وأبو موسى المديني في «الترغيب والترهيب» كما في «الروح» للمصنّف (٢٨٤).

والراوي عن هلال: «فرج بن فضالة» ضعيفٌ كما تراه في ترجمته من «تهذيب الكمال» (٢٣/ ١٥٦ ـ ١٦٤)، وغيره.

وبه وبـ(هلال) أعلّ ابن الجوزيّ هذه الرِّواية.

وقَد قال الرشيد العطار عن هذا الطريق («القول البديع» للسخاوي: ٢٦٥): «هذا أحسن طرقه».

وقال أبو موسى المديني ـ كما نقله المصنّف عنه هنا، وفي «الروح» (٢٨٥) ـ: «هذا حديث حسن جّداً».

وأحْسبُ أبا موسى إنّما أراد حُسْن معناه وسياقته، لا الحسن الاصطلاَحي، وقد وقفتُ له على نظائر لهذا الإطلاق.

وبَعْدُ؛ فهذه طرق هذا الحديث، وهي كما رأيتَ، ليس فيها إسنادٌ قائم يصلح

في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية»، وبنى كتابه عليه وجعله شرحاً له، وقال: هذا حديث حسن جداً، رواه عن سعيد بن المسيب: عمر بن ذر، وعلي بن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظِّم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه[1].

والمقصودُ منه قوله ﷺ: «**ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عز وجل، فطرد الشياطين عنه**»، فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة.

وقوله فيه: «**وأمَرَكُم بذكر الله عز وجل، وإن مَثَلَ ذلك كَمَثَل رجل طلبه العدو، فانطلقوا في طلبه سِراعاً، وانطلق حتى أتى حصناً حَصِيناً، فأحرز نفسه فيه**».

= لحمل مثل هذا المتن.

وفي إعراض أصحاب الصحيح ـ بل وأصحاب الكتب المصنفة على الأبواب، وأحمد وغيره من أصحاب المسانيد ـ عن تخريجه مع شهرته وكونه في الفضائل، وإعلالِ الأئمة لبعض طرقه ـ كما مرَّ ـ، وتجنُّب الحفاظ الثقات روايتَه، وتفرُّدِ الضعفاء والمجاهيل به = ما يرجِّح القول بضعفه وعدم صحته.

وقد مال المصنِّفُ رحمه الله تعالى إلى تقويته هنا وفي «الروح»، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية نحو ذلك، وهذا ـ مع عدم وقوفي على من حرّر القول في الحديث ـ هو الذي دعاني إلى تتبعّ طرقه والنظر فيها، وأرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ في ذلك إلى الصواب.

(١) وانظر: «الروح» للمصنّف (٢٨٦).

فكذلك الشيطان لا يُحْرِزُ العبادُ أنفسَهم منه إلا بذكر الله عز وجل.

وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ: بسم الله، توكَّلْتُ على الله، لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا بالله؛ يقال له: كُفِيتَ وهُدِيتَ ووُقِيتَ، وتَنَحَّى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدِيَ وكُفِيَ وَوُقِيَ؟**». ورواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن[1].

وقد تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير= كانت له حِرْزاً من الشيطان حتى يُمسِي**»[2].

وذكر سفيان عن أبي الزبير، عن عبدالله بن ضمرة، عن كعب قال: إذا خرج الرجل من بيته فقال: «بِسْمِ اللهِ» قال المَلَكُ: هُدِيتَ، وإذا قال: «توكَّلْتُ على الله» قال المَلَكُ: كُفِيت، وإذا قال: «لا حَوْلَ ولا قوّة إلا بالله» قال المَلَكُ: حُفِظْت. فيقول الشياطين بعضهم لبعض: ارجعوا، ليس لكم عليه سبيل، كيف لكم بمن كُفِيَ وهُدِيَ وحُفِظَ؟»[3].

وقال أبو خلاد البصري[4]: من دخل في الإسلام دخل في حِصْن،

---

(١) سيأتي تخريجه (ص: ٢٠٦).

(٢) انظر: (ص: ١٠٢).

(٣) أخرجه معمر في «الجامع» (١١/ ٣٢ ـ ٣٣ مصنف عبدالرزاق)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٢٠٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٨٩) بإسناد صحيح.

(٤) كذا في (ت) و(م) واضحة مجوّدة، وفي (ح) و(ق): المصري. والخبر لم أقف عليه.

ومن دخل المسجد فقد دخل في حِصْنَيْن[1]، ومن جلس في حلقة يذكر الله عز وجل فيها فقد دخل في ثلاثة حصون.

وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا وضع العبد جَنْبَه على فراشه، فقال: بسم الله، وقرأ فاتحة الكتاب؛ أَمِنَ من شرِّ الجنِّ والإنسِ، ومن شرِّ كلِّ شيء**»[2].

وفي «صحيح البخاري» عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَلاَّني رسول الله ﷺ زكاةَ رمضانَ أن أحتفظ بها، فأتاني آتٍ، فجعل يَحْثُو من الطَّعام، فأخذته، فقال: دَعْنِي فإني لا أعود... فذكر الحديث، وقال: فقال له في الثالثة: أُعَلِّمك كلماتٍ ينفعك الله بهن، إذا أَوَيْتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخَلَّى سبيله، فأصبح، فأخبر النبي ﷺ بقوله، فقال: «**صَدَقَكَ، وهو**

---

(١) (ت): «حصن حصين».

(٢) أخرجه البزار (٤/٢٦ ـ كشف الأستار)، والديلميُّ في «مسند الفردوس» («المداوي»: ١/٤٧٩) بإسنادٍ ضعيف.
وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٢٣): «رواه البزّار، وفيه غسان بن عبيد وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح».
وفي روايتيهما زيادة «قل هو الله أحد»، وفي آخره: «كل شيء إلاّ الموت».

كذوب»[1].

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال: رسول الله ﷺ: «**إذا أوى الإنسان إلى فراشه ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وشَيْطَانٌ، فيقول المَلَكُ: اختم بخير، ويقولُ الشيطان، اختم بِشَرٍّ. فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه ـ يعني النوم ـ طرد المَلَكُ الشيطانَ، وبات يكلؤه**[2]**، فإذا استيقظ ابتدره مَلَكٌ وشيطانٌ، فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان: افتح بِشَرٍّ، فإن قال: الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها ولم يُمِتْها في منامها، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى**[3]**، الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إنْ أمسكهما من أحد من بعده، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه= طَرَدَ المَلَكُ الشيطانَ، وظل يَكْلَؤُه**»[4].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٣١١، ٣٢٧٥، ٥٠١٠) معلّقاً بصيغة الجزم.
ووصله النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٥٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٢٤)، وغيرهما.
وانظر: «تغليق التعليق» (٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧)، و«نتائج الأفكار» (٣/ ٤٣ ـ ٤٨).

(٢) (ت) و(م): «وظل يكلؤه».

(٣) من قوله: «الحمد لله الذي يمسك» إلى هنا، ساقط من (ت).

(٤) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٥٤)، والطبراني في «الدعاء» (٢٢٠، ٢٢١، ٢٨٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) وغيرهم بإسنادٍ صحيح.
وصححه ابن حبان (٥٥٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٨) على شرط مسلم، ولم يتعقبه الذهبي.
وصححه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٦٩)، وحسنه ابن حجر =

وفي «الصحيحين» من حديث سالم بن أبي الجعد، عن كريب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمَا لو أنَّ أحدكم إذا أتى أهْلَه قال: بسم الله، اللهم جَنِّبْنَا الشيطانَ، وجَنِّب الشيطان ما رَزَقْتَنَا، فيولد بينهما ولد، لا يَضُرُّهُ شيطانٌ أبداً**»[1].

وذكر الحافظ أبو موسى، عن الحسن بن علي قال: أنا ضامنٌ لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يَعْصِمَهُ الله تعالى مِنْ كلِّ سلطانٍ ظالمٍ، ومن كلِّ شيطانٍ مَريدٍ، ومن كلِّ سَبُعٍ ضارٍ، ومن كلِّ لصٍّ عادٍ: آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ . . .﴾ [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٧]، وعشراً من الصافات، وثلاث آياتٍ من الرحمن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[الرحمن: ٣٣ ـ ٣٥]، وخاتمة سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ . . .﴾ [الحشر: ٢١ ـ ٢٤][2].

= في «الأمالي الحلبيّة» (٢٦)، وقال في «نتائج الأفكار» (٣/ ٧٩): «هذا حديث حسن غريب».

وورد آخر الحديث في المصادر السابقة هكذا: «فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة»، وفي لفظ: «كان شهيداً» بدل قوله هنا في رواية أبي موسى المديني: «طرد الملك الشيطان، وظل يكلؤه».

(١) «صحيح البخاري» (١٤١، ٣٢٧١، ٣٢٨٣)، و«صحيح مسلم» (١٤٣٤).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٢٧)، وابن أبي الدنيا في «الذكر» ـ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧١) ـ.

وقال محمد بن أبان: بينما رجل يصلي في المسجد، إذا هو بشيء إلى جنبه، فَهِيل منه[1]، فقال: ليس عليك مني بأس، إنما جئتك في الله تعالى، ائت عروة فَسَلْهُ: ما الذي يَتَعَوَّذُ به ـ يعني من إبليس الأباليس ـ؟ قال: قُلتُ[2]: آمنتُ بالله العظيم وحده، وكفرتُ بالجِبْتِ والطّاغوت، واعتصمتُ بالعروة الوُثْقى لا انفصام لها، والله سميع عليم، حسبي الله وكفى، سَمِع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى[3].

قال بشر بن منصور، عن وهيب بن الورد قال: خرج رجل إلى الجَبَّانَةِ بعد ساعة من الليل، قال: فسمعتُ حِسًّا ـ أو أصواتاً شديدة ـ وجِيءَ بسريرٍ حتى وُضِع، وجاء شيء حتى جلس عليه، قال: واجتمعت إليه جنوده، ثم صرخ فقال: من لي بعروة بن الزبير؟ فلم يُجِبْهُ أحد، حتى تتابع ما شاء الله عز وجل من الأصوات، فقال واحد: أنا أكفيكه.

قال: فتوجه نحو المدينة وأنا ناظرٌ، ثم أوشك الرجعة، فقال: لا سبيل الى عُرْوَة، قال: ويلك، لم؟ قال: وجدتُه يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى، فلا نَخْلُصُ إليه معهن.

---

(١) أي أدركه الهَوْل، وهو الخوفُ والفزع.

(٢) (ح): «قل»، وفي (ق): «قول»، وثَمَّ كلام محذوف تقديره: «فسأل عروةَ، فقال: . . .».

(٣) (ت) و(ق): «مرمى»، وانظر لقوله «حسبي الله وكفى»: «حلية الأولياء» (٨/ ١٥٧).

قال الرجل: فلما أصبحتُ قلت لأهلي: جهِّزوني، فأتيتُ المدينة، فسألت عنه حتى دُلِلْتُ عليه، فإذا شيخٌ كبير، فقلت: ما شيءٌ تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ فأبى أن يخبرني، فأخبرته بما رأيت وبما سمعت، فقال: ما أدري، غير أني أقول إذا أصبحت: آمنتُ بالله العظيم، وكفرتُ بالجِبْت والطَّاغوت، واسْتَمسَكْتُ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميعٌ عليم. إذا أصبحتُ قلتُ ثلاثَ مرَّات، وإذا أمسيْتُ قلتُ ثلاث مرات[1].

وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال: قال جبريل للنبي ﷺ: إنَّ عفريتاً من الجن يَكِيدُك، فإذا أَوَيْتَ إلى فراشك فقل: أعُوذ بكلمات الله التَّامَّات التي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ، من شَرِّ ما ينزل من السّماء وما يَعْرُجُ فيها، ومن شرّ ماذَرأ في الأرْضِ، وما يخرجُ منها، ومن شرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهار، ومن شَرِّ طوارقِ الليل والنهار، إلاَّ طارِقاً يَطْرُقُ بخيرٍ يا رحمن[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٩٨ ـ ٩٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه معمر في «الجامع» (١١/ ٣٥ ـ مصنف عبدالرزاق)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٦٠ ـ ٦١) من حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه قصة.

وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٥٦) بنحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه، موصولاً، في قصة النبي ﷺ ليلة الجنّ، وليس فيه قوله: «إذا =

وقد ثبت في «الصحيحين»[1] أن الشيطان يهرب من الأذان.

قال سهيل بن أبي صالح: أرسلني أبي إلى بني حارثة، ومعي غلامٌ ـ أو صاحب ـ لنا، فنادى مُنادٍ من حائط باسمه، فأشْرَفَ الذي معي على الحائط، فلم يَرَ شيئاً، فذكرت ذلك لأبي، فقال: لو شَعَرْتُ أنك تلقى هذا لم أُرْسِلْك، ولكنْ إذا سمعتَ صوتاً فَنَادِ بالصّلاة، فإني سمعت أبا هريرة يُحَدِّثُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ الشَّيْطَانَ إذَا نُودِي بالصلاة وَلَّى وله حُصَاصٌ**»[2].

وفي رواية: «**إذا سمع النِّدَاءَ وَلَّى وله ضُرَاطٌ، حتى لا يسمع التَّأذينَ**...»الحديث[3].

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي رجاء، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَكْثِروا من قول لا إله إلا الله**،

= أويت إلى فراشك».

ورواه مالك في «الموطأ» (٢٧٣٨) من هذا الوجه مرسلاً. قال حمزة الكناني ـ كما في «تحفة الأشراف» (٧/ ١٣٣) ـ: «هذا الحديث ليس بمحفوظ، والصواب أنه مرسل».

وانظر: «التمهيد» (٢٤/ ١١٢ ـ ١١٤).

(١) (ح) و(ق): «الصحيح».

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩) واللفظ له، وليس عند البخاري ذكر القصة، لأنه أخرج الحديث من غير طريق سهيل بن أبي صالح.

(٣) أخرجها البخاري (٦٠٨).

والاستغفار؛ فإنَّ الشَّيطانَ قال: قد أَهْلَكْتُهم بالذُّنوب، وأَهْلَكوني بقول: لا إله إلا الله، والاسْتِغفَار، فلما رأيتُ ذلك منهم أَهْلَكْتُهُم بالأَهْواء حتى يَحْسَبُونَ أنهم مُهْتَدُون، فلا يَسْتَغْفِرُون»[1].

وذكر أيضاً عن إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة قال: بينما رجل مسافر إذْ مرَّ برَجُلٍ نائم، ورأى عنده شيطانَيْن، فسمع المسافر أحد الشيطانَيْنِ يقول لصاحبه: اذهب فأَفْسِدْ على هذا النائم قَلْبَه، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال: لقد نام على آيةٍ ما لنا إليه سبيل، فذهب إلى النائم، فلما دنا منه رجع قال: صدقت، فذهبا، ثم إنّ المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانَيْنِ، فقال: أخبرني على أي آية نِمْتَ؟ قال: على هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم[2]: كنت أَرَى في

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٤٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤) ـ ومن طريقه تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعيّة» (١/ ٢٨) ـ، والطبرانيُّ في «الدعاء» (٣/ ١٦٠١) بإسنادٍ شديد الضّعف.
وضعّفه البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧/ ٤٢٢).
وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٧)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٧٧٥).

(٢) قال الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٥٤٥): «هو الحافظ الإمام، شيخ المحدثين، أبو النضر، هاشم بن القاسم الليثي الخراساني، ثم البغدادي». توفي سنة ٢٠٧.

داري[1]، فقيل لي: يا أبا النضر! تَحَوَّلْ عن جوارنا. قال: فاشْتَدَّ ذلك عليَّ، فكتبتُ إلى الكوفة، إلى ابن إدريس، والمُحارِبي، وأبي أسامة، فكتب إليَّ المُحارِبي:

إن بئراً بالمدينة كان يُقْطَعُ رِشاؤها[2]، فنزل بهم رَكْبٌ، فشكَوْا ذلك إليهم، فدعوا بدلْوٍ من ماءٍ، ثم تكلموا عليه بهذا الكلام، فصبُّوه في البئر، فَخَرَجَتْ نارٌ من البئر، فَطَفِئَتْ على رأس البئر.

قال أبو النضر: فأخذت تَوْراً من ماء، ثم تكلَّمتُ فيه بهذا الكلام، ثم تتبَّعْتُ به زوايا الدار، فرَشَشْتُه، فصاحوا بي: يا أبا النضر! أحْرَقْتنا، نحن نتحولُ عنك.

وهو: بسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبِعزَّةِ الله التي لا ترام ولا تُضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب[3]، وبأسمائه الحسنى كلِّها، عائذاً من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل مُعْلِنٍ أو مُسِرٍّ، ومن شر ما يخرج بالليل ويَكْمُنُ بالنهار، ويَكْمُنُ بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شرِّ إبليس

---

(١) (ح) و(ق): «أرمى في داري»، وهو خطأ.
وكأنه أراد أن الجنّ كانوا يتصوّرون له في داره، يؤذونه بذلك، وهم الذين قالوا له: «تحوّل عن جوارنا».

(٢) الرِّشاء: هو حَبْلُ الدَّلْو.

(٣) (ت) و(م): «... الممتنع تحجبت».

وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربي على صراط مستقيم، أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى، وإبراهيم الذي وفَّى، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يُتَّقى[1].

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصافات: ١ ـ ١٠].

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ: «**كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى**».

ولنذكر فصولاً نافعة تتعلق بالذكر؛ تكميلاً للفائدة:

---

(١) كذا في (ق) و(م) مضبوطة مجوّدة، وفي (ح): «يبقى»، وهي غير واضحة في (ت).